تفسير آيات نزلت
هي خير مما
طلعت عليه الشمس وغربت

د/ كرم معروف محمود معروف
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

ملخص البحث

د/كرم معروف محمود معروف

كلية الدراسات الإسلامية والعربية، للبنين بالقاهرة، قسم أصول الدين شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: karam_marouf٧٥@yahoo.com

الملخص:

ورد في القرآن الكريم في سورة النساء ثمان آيات، قيل عنها إنَّها خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أو خير لها من الدنيا وما فيها، فقمت في هذا البحث بدراسة وتفسير هذه الآيات دراسة تحليلية وافية، مبيناً وجوه هذه الخيرية، وما تضمنته هذه الآيات من لطائف وهدايات وفوائد جعلتها مخصوصة بهذا الفضل العظيم، وقد قسمت البحث حسب هذه الآيات إلى ست مسائل هي: المسألة الأولى: إرادة التوبة والتخفيف، وبيان الحكمة من الأحكام، المسألة الثانية: اجتناب الكبائر سبب لتكفير السيئات، ودخول الجنة، المسألة الثالثة: التخلي عن الظلم، والتحلي بالفضل، المسألة الرابعة: ما يُغفر من الذنوب وما لا يُغفر، المسألة الخامسة: بيان المخرج من الذنب بعد وقوعه، المسألة السادسة: عاقبة كل من الكفر والإيمان، وقد تبين من خلال هذا البحث أنَّ هذه الآيات الكريمة احتوت على علم عظيم، واشتملت على كليات محكمة في الشريعة، تنفع المؤمنين في دنياهم وآخرتهم، وفي هذا كله دلالة على كمال هذه الأمة وشريعتها.

الكلمات الافتتاحية: تفسير، آيات، نزلت، طلعت، الشمس، وغربت.

the way to repent from sin after it occurs, the sixth requirement: the consequences of both disbelief and faith. It has been revealed through this research that these noble verses contain great knowledge and encompass solid principles in Sharia that benefit the believers in their worldly life and the Hereafter. All of this indicates the perfection of this nation and its Sharia.

keywords: interpretation, verses, revealed, the sun rose, and set.

Research Summary

Interpretation of Verses That Are Better Than What the Sun Has Risen and Set Upon

Dr: Karam Ma'rouf Mahmoud Ma'rouf

Department of Islamic Theology - Division of Interpretation and Quranic Sciences - College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Cairo - Al-Azhar University

Email: karam_marouf٧٥@azhar.edu.eg

Abstract:

In the Noble Quran, in Surah An-Nisa, there are eight verses that have been said to be better for this Ummah than what the sun rises and sets upon, or better for them than this world and all that it contains. In this research, I undertook a comprehensive analytical study and interpretation of these verses, highlighting the aspects of this superiority, along with the subtleties, guidance, and benefits contained in these verses that have made them specifically endowed with this great virtue. I divided the research based on these verses into six sections: Section One: The intention of repentance and alleviation, and explaining the wisdom behind the rulings; Section Two: Avoiding major sins as a reason for expiating minor sins and entering Paradise; Section Three: Abandoning oppression and adopting virtue; Section Four: What sins are forgiven and what are not; Section Five: Clarification of how to exit from sin after it occurs; Section Six: The consequences of disbelief and faith. This research has shown that these noble verses contain great knowledge and encompass systematic principles The fifth requirement: clarification of

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، محمد المختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وأتباعه الأبرار، ومن سار على نهجهم واهتدى بهداهم إلى يوم القرار، **وبعد:**

فإن أجل ما صرفت فيه الأعمار، وقضيت فيه الأيام، الاشتغال بالقرآن الكريم، فهو: "كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه"(١)

أنزله الله **سبحانه وتعالى**على أفضل رسله وجعله أفضل الحديث، قال تعالى: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ} . (٢)

وأنزل فيه كل ما يشتمل على أمور الدنيا والآخرة فقال **تعالى** : {وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ}.(٣)

وجعله كتاب هداية وإرشاد، وبالتمسك به يسلك المؤمن طرق الهداية التي لا يضل بعدها أبداً فقال **تعالى** : [إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا]. (٤)

فمن سعادة المؤمن أن يعيش حياته مع القرآن الكريم، يتدبر أحكامه، ويهتدي

(١) الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) ١٤٤/٤ المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
(٢) سورة الزمر ٣٩ من الآية ٢٣٠
(٣) سورة النحل ١٦ من الآية ٨٩
(٤) سورة الإسراء ١٧ الآية ٩

بهديه، ليكون في معية ربه، ومن أهله المقربين الذين هم: (أهل الله وخاصته) كما أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** . (١)

ولهذا عكف العلماء على مائدة القرآن الكريم منذ نزوله، تلاوةً وحفظاً، وتدبراً واستنباطاً، وتفسيراً وبياناً، وتأليفاً وبحثًا عن أسراره وعجائبه التي لا تنفد ولا تنقضي، وأولوا تفسيره اهتماماً بالغاً، وكان من أبرز جوانب اهتمام العلماء به.

ولقد حاز علم التفسير الشرف من جهات متعددة: أولها من جهة موضوعه لأن موضوعه كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

وثانيها: من جهة الغرض، فالغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وثالثها: من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى". (٢)

من أجل هذا عقدت النية وعزمت الأمر على السير في ركاب هذا العلم العظيم بتفسير ودراسة آيات مخصوصة من سورة النساء في هذا البحث الذي سميته: (تفسير آيات نزلت هي خير مما طلعت عليه الشمس وغربت) نظراً لما ورد فيها عن بعض الصحابة **رضى الله عنهم** من خير وفضل، لعل الله **تعالى** ينفعني بها في الدنيا والآخرة.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٥/١٩ رقم ١٢٢٩٢مسند أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقال محقق الكتاب (إسناده حسن) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

(٢) الإتقان للسيوطي ١٩٩/٤ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

سبب اختياري لهذا الموضوع:

ما نقله كثير من المفسرين عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود **رضى الله عنهم** من تنويه خاص بثمان آيات في سورة النساء، وقد ذكرها ابن عباس **رضى الله عنه** بتمامها، واقتصر ابن مسعود **رضى الله عنه** على ذكر خمساً منها، وأذكر هنا ما ورد عن الصحابيين الجليلين في فضل هذه الآيات – محل الدراسة – لمعرفتها.

روي عن ابن عباس **رضى الله عنه** قال: " ثماني آيات نزلت في سورة النساء، هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت:

الأولى قوله **تعالى** : {يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾}(١).

والثانية قوله: {وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾}(٢) .

والثالثة قوله: {يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾} (٣) .

والرابعة قوله: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾}(٤).

والخامسة قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾}(٥).

والسادسة قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾}(١) .

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ٢٦
(٢) السورة السابقة من الآية ٢٧
(٣) السورة السابقة من الآية ٢٨
(٤) السورة السابقة من الآية ٣١
(٥) السورة السابقة من الآية ٤٠

والسابعة قوله: {وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠}(٢).

والثامنة قوله: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢}(٣) . (٤)

وروي عن ابن مسعود **رضى الله عنه** قال: "إن في النساء خمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها، ولقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها، وذكر الخمس آيات الأخيرة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهم. (٥)

وقد خُصت هذه الآيات الكريمة بهذا الفضل لما دلت عليه من فضل الله **تعالى** على عباده، ورحمته بهم، وفتحه لباب التوبة والمغفرة في وجوههم، وما فيها من التيسير والتخفيف على هذه الأمة، والتجاوز عن سيئاتها.

---

(١) السورة السابقة من الآية ٤٨
(٢) السورة السابقة من الآية ١١٠
(٣) السورة السابقة من الآية ١٥٢
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٥٧/٨ تحقيق محمود محمد شاكر توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - بدون تاريخ نشر، وشعب الإيمان للبيهقي ٣٤٧،٣٤٦/٩ رقم ٦٧٤٤ حققه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد وقال عنه:(إسناده: ضعيف). الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، والكشاف للزمخشري ٥٠١/١ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥٦/١٠ طبعة: دار إحياء التراث العربي بيروت الثالثة - ١٤٢٠ هـ، والإتقان للسيوطي ١٥٢/٤، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٣٦٢/١ دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام صفحة ٢٧٧، الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني ٤٤٩/١ رقم ٥٦٠ الناشر: دار الكتب العلمية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ، وسنن سعيد بن منصور ٤/ ١٢٩٧ رقم ٦٥٩ الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م وجامع البيان للطبري ٢٢٥/٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٣٤/٢ رقم ٣١٩٤ ثم قال: (هذا إسناد صحيح) إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه، فقد اختُلف في ذلك، وصححه الذهبي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ -١٩٩٠

فهذه الآيات تعتبر كما قيل عنها: " كليات في الشريعة محكمات، قد احتوت على علم كثير، وأحاطت بقواعد عظيمة في الدين".[1]

فلهذه المقاصد الجليلة وقع اختياري على دراسة هذه الآيات الكريمة وتفسيرها، والاستفادة منها، وبيان وجه الأفضلية فيها والله **سبحانه وتعالى** وحده الموفق والمستعان.

خطة البحث:

قسَّمت البحث إلى تقديم، وستة مطالب، وخاتمة.

أما التقديم: فقد بَيَّنت فيه أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وخطة البحث، وبيان منهجي فيه.

وأما المطالب فهي على النحو التالي:

المطلب الأول: إرادة التوبة والتخفيف، وبيان الحكمة من الأحكام.

المطلب الثاني: اجتناب الكبائر سبب لتكفير السيئات، ودخول الجنة.

المطلب الثالث: التخلي عن الظلم، والتحلي بالفضل.

المطلب الرابع: ما يُغفر من الذنوب وما لا يُغفر.

المطلب الخامس: بيان المخرج من الذنب بعد وقوعه.

المطلب السادس: عاقبة كل من الكفر والإيمان.

وأما خاتمة البحث: فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ثم ألحقت بها فهرسين أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

---

(١) الموافقات ٤/ ١٧٨، وحاشية الشهاب الخفاجي ١٢٧/٣ دار النشر: دار صادر - بيروت، وزهرة التفاسير لأبي زهرة ١٥٦٣/٣ دار النشر: دار الفكر العربي والتفسير الوسيط المؤلف: محمد سيد طنطاوي ٩/٣ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

منهجي في هذا البحث:

هو المنهج التحليلي، ويتمثل في جمع الآيات القرآنية - محل الدراسة - ثم دراستها دراسة تحليلية وافية، وقد اتبعت في كتابته الخطوات التالية:

١) قدَّمت لهذا البحث بتقديمٍ بَيَّنت فيه أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

٢) وضعت كل آية تحت عنوان ملائم لها ليسهل دراستها وتحليلها.

٣) مَهَّدتُّ لدراسة كل آية قرآنية بذكر مناسبتها لما قبلها، وسبب نزولها، معتمداً في ذلك على ما ثبت في الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

٤) راجعت أشهر كتب التفسير وأسلمها منهجاً للوقوف على معنى الآية والتأكد من صحة الاستدلال والاستنباط.

٥) وضَّحت الأوجه اللغوية في الآيات وتضمن ذلك: بيان مفردات الألفاظ ومدلولاتها، والأوجه الإعرابية والبلاغية، وهذا بقدر ما تدعو إليه ضرورة إيضاح المعنى أو إبراز قوته.

٦) تناولت القضايا العقدية التي تضمنتها الآيات بالتحليل مستدلاً على ما أذكره من كتب العقيدة المعتمدة.

٧) شرحت الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها الآيات، وراجعت فيها كتب الفقه الأصيلة.

٨) ذكرت أوجه القراءات إن وجدت بما يوضح المعاني القرآنية، مع عزوها إلى كتب القراءات.

٩) ختمت كل آية ببيان ما تضمنته من هدايات وفوائد ولطائف جعلتها مخصوصة بهذا الفضل العظيم.

١٠) كتبت الآيات والكلمات القرآنية بالرسم العثماني مع تخريجها بذكر اسم السورة، ورقمها، ورقم الآية.

١١) خرَّجت الأحاديث النبوية من كتب الحديث المعتمدة مع بيان درجته، وإذا كان الحديث في البخاري أو مسلم اكتفيت بذكر أحدهما.

١٢) خرَّجت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب الحديث والتفسير من أكثر من كتاب.

١٣) ضبطت بعض الكلمات التي يصعب قراءتها دون ضبط، مع توضيح بعض الكلمات التي يلتبس معناها على بعض الأذهان

١٤) ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

١٥) كتبت قائمة بالمراجع والمصادر التي أفدت منها، ثم فهرساً للموضوعات.

المطلب الأول

إرادة التوبة والتخفيف، وبيان الحكمة من الأحكام

قال تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨}[١]

يبين الله **سبحانه وتعالى** في هذه الآيات الكريمة علل الأحكام التي ذكرها في الآيات السابقة المتعلقة بالبيوت والنساء والزواج وحلاله وحرامه، وهذه سنة القرآن الكريم أن يعقِّب ذكر الأحكام التي شرعها لعباده ببيان عللها وأسبابها، ليكون في ذلك طمأنينة للقلوب، وسكوناً للنفوس، لتعلم مغبة[٢] ما هي مقدمة عليه من الأعمال، وعاقبة ما كلفت به من الأفعال، حتى تقبل عليها وهى مثلجة الصدور، عالمة بأن لها فيها سعادة في دنياها وأخراها. [٣]

يقول أبو السعود:" {يُرِيدُ الله لِيُبَيّنَ لَكُمْ} استئنافٌ مَسوقٌ لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الأنبياء والصالحين"هـ.[٤]

والإرادة [١] جاءت في القرآن الكريم على نوعين: "الأول: إرادة كونية قدرية: بمعنى المشيئة وهذه لا يخرج عنها شيء في هذا الوجود، فكل ما يقع من خير أو شر من طاعة أو معصية فهو داخل فيها، وهذا النوع من الإرادة لا بد من

---

(١) سورة النساء ٤ الآيات ٢٦-٢٨

(٢) غِبُّ الأَمْرِ ومَغَبَّتُه: عاقبتُه وآخِرُه. وغَبَّ الأَمرُ: صارَ إِلى آخِرِه. لسان العرب لابن منظور ٦٣٤/١ الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

(٣) تفسير المراغي ٥/ ١٣ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، والتفسير المنير المؤلف: وهبة الزحيلي ٢٥/٥ الناشر: دار الفكر (بيروت - لبنان) الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ١٦٨/٢ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

وقوعه، ولا يستلزم محبة الله ورضاه، فقد تكون لما يحبه ويرضاه كالطاعات الواقعة من عباد الله الصالحين، وقد تكون لما لا يحب ولا يرضى، بل يسخط ويكره كالمعاصي والكفر، ومن هذا النوع قوله **تعالى** : {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ }(٢) أي ما شاء خلقه لا ما يأمر به، ومنه قولنا: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن). (٣)

والنوع الثاني: إرادة دينية شرعية: وهي المتعلقة بألوهيته وشرعه، وهذه مستلزمة لأمره ، ومتعلقة بما يحبه ويرضاه **سبحانه وتعالى**، وقد يقع المراد بها وقد لا يقع، ومنها قوله تعالى: { يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ }(٤) وكقول الناس لمن يفعل القبائح: (هذا يفعل ما لا يريده الله)، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به". (٥)

وإرادة الله **تعالى** البيان والهداية للعباد، وكذلك التوبة والتخفيف لهم من هذا النوع، بمعنى أنَّه **سبحانه وتعالى** شرع هذه الأمور وأحبها لهم، سواء وقع المراد بها على وفق ما أمر به الله تعالى واستجابوا للبيان والتخفيف والتوبة أم لا.

---

(١) الإرادة في اللغة: المشيئة، وأَراد الشيءَ: شاءَه، وأصلها الواو، لقولك راوده. الصحاح للجوهري ٤٧٨/٢ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، ومختار الصحاح للرازي صفحة ١٣١ المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٥٣

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه باب ما يقول إذا أصبح ٧/ ٤٠٩ حديث رقم ٥٠٧٥ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط): إسناده ضعيف. الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، صفحة ١٤٠، باب ثواب من قال حين يصبح حديث رقم ١٢. المحقق: د. فاروق حمادة الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.

(٤) سورة البقرة ٢ من الآية ١٨٥

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٧٩/١-٨١ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٣٨/١

والبيان[1] من الله تعالى يأتي على وجهين: "أحدهما: بيان بالنص، والآخر بدلالة النص، ولا تخلو حادثة صغيرة ولا كبيرة إلا ولله **تعالى** فيها حكم إما بنص وإما بدليل"[2]

وقد بين الله **سبحانه وتعالى** للعباد شرائع دينهم ومصالح أمورهم، والحلال والحرام فيما يأتون ويذرون، ومنه ما ذكره في الآيات السابقة من أن الصبر خير لهم من نكاح الإماء، ومن إباحة نكاح الأمة عند العذر. [3]

وحذف مفعول { لِيُبَيِّنَ}: " لدلالة السابق واللاحق عليه، ولتتوجه العقول السليمة إلى استخراجه، أي يريد الله أن يبين لكم ما هو خفيٌّ عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالِكم [4]، ففيه إيجاز بالحذف، وهو من أغراض حذف المفعول به.[5]

---

(١) البيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها. الصحاح ٥/ ٢٠٨٣، ومختار الصحاح صفحة ٤٣

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢١٤/٢ المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، والفصول في الأصول لأبي بكر الرازي الجصاص ٣٢،٣١/٢ الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وزاد المسير لابن الجوزي٣٩٥/١ المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٢٩٦/١ تحقيق وتعليق الشيخ علي أحمد معوض وآخرون طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي٢٣٣/١٠ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، والتَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي ٤٦٠/٦ الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، ومعالم التنزيل للبغوي ١٩٨/٢ المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ

(٤) إرشاد العقل السليم ١٦٨/٢، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد رضا ٢٤/٥ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

(٥) وعن بلاغة هذا الحذف يقول الإمام عبد القاهر: وليس لنتائج حذف المفعول من الرّوعة والحسن نهاية ، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة ، وإلى لطائف لا تحصى . دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني ١١٠/١ المحقق: د. عبد الحميد

واللام في قوله { لِيُبَيِّنَ}: إمَّا أن تكون بمعنى (أنْ) كقوله تعالى {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }[(١)] أي: أن نسلم، وإمَّا أن تكون لام العلة والتقدير: يريد الله ما يريد لأجل أن يبين لكم، وقيل إنَّ اللام وما دخلت عليه في تقدير مصدر أي: إرادته تعالى للبيان، كما في قوله تعالى: { إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ }[(٢)] أي: إن كانت عبارتكم للرؤيا. [(٣)]

وأتى بفعل التبيين مضارعاً وإن كان البيان قد سبق في الآيات السابقة للدلالة على: "تجدده واستمراره، فإن هذه التشريعات دائمة مستمرة تكون بياناً للمخاطبين ولمن جاء بعدهم، وللدلالة على أن الله يبقي بعدها بياناً متعاقباً".[(٤)]

وهداية [(٥)] الله تعالى المتعلقة بالمكلف نوعان:

الأول: هداية عامة للمؤمن والكافر، وهي: هداية الدلالة، والبيان، والإرشاد لسبيل الخير والشر، وهي المذكورة في قوله **سبحانه وتعالى** : {وَهَدَيْنَٰهُ

هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ١٥٦/١ ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(١) سورة الأنعام ٦ من الآية ٧١

(٢) سورة يوسف ١٢ من الآية ٤٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢/٢ المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، وإعراب القرآن للأصبهاني تقديم: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، والدر المصون للسمين الحلبي ٣/ ٦٥٩ المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق، و تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه المؤلف: محمد علي طه الدرة ٤٢٦/٢ الناشر: دار ابن كثير - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

(٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٨/٥ الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٥) الهُدى: الرشاد والدلالة وهو ضد الضلال. لسان العرب ١٥/ ٣٥٣

ٱلنَّجۡدَيۡنِ } [١]، وقوله**تعالى** : {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ }[٢] أي: دلَّهُم، وبيَّن لهم بإرسال رسوله، وهذه الهداية أثبتها الله **تعالى** لرسله أيضاً قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ }[٣] أي تدل وترشد.

والنوع الثاني: الهداية الخاصة، وهي هداية التوفيق لقبول الحق، والعمل به وإلهام الرشد، وشرح الصدر، ويدل عليها قوله **تعالى** {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ }[٤] وهذه لا يملكها إلا الله تعالى. [٥]

وقوله: {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} من النوع الأول وهو هداية الدلالة والإرشاد، وهذا ما رجَّحه ابن عطية حيث قال: " وَيَهْدِيَكُمْ بمعنى: يرشدكم، لا يتوجه غير ذلك، بقرينة السنن". [٦]

والمقصود بالذين من قبلنا: أنبياء الله تعالى، وأهل الإيمان به. [٧]

---

(١) سورة البلد ٩٠ الآية ١٠
(٢) سورة فصلت ٤١ من الآية ١٧
(٣) سورة الشورى ٤٢ من الآية ٥٢
(٤) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٥
(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر لابن القيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١) ٢١٧/١ تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٣٥/١ الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، وشرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن بن ناصر البراك صفحة ٧٩ الناشر: دار التدمرية الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
(٦) المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي٤٠/٢ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ ١٤٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٦٠٠/٣ المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
(٧) جامع البيان للطبري ٢٠٩/٨ ، وتفسير القرآن للسمعاني ٤١٧/١ المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

والهداية إلى سننهم[١] : إما ببيان مناهجهم وشرائعهم فيما حرم علينا من نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر ما حرم، فقد كان محرماً عليهم أيضاً. [٢]

وعليه تكون الآية دليل لمن قال بأن ما حرمه الله تعالى علينا وبين لنا تحريمه من النساء في الآيتين اللتين قبل هذه الآية كان محرماً على الذين كانوا من قبلنا من أمم الأنبياء المتقدمين.

وإمَّا أن تكون الهداية إلى سنن من قبلنا ببيان ما نحن في حاجة إليه وما يحقق مصالحنا كما بينه لهم، فإن الشرائع والتكاليف كما قيل: " وإن كانت مختلفة في نفسها، إلا أنها متفقة في باب المصالح، وليس المراد أن جميع ما شرعه الله من حلال أو من حرام كان مشروعاً بعينه للأمم السابقة". [٣]

والتوبة[٤] من الله **سبحانه وتعالى** على العباد الواردة في قوله تعالى {وَيَتُوبَ

(١) السنة هي الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق. تهذيب اللغة للأزهري ٢١٢/١٢ المحقق: محمد عوض الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ولسان العرب١٣/ ٢٢٦

(٢) جامع البيان للطبري ٨/ ٢٠٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٢٥/٣ المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ ، وبحر العلوم ٢٩٦/١، والكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢٣٣، والتفسير البسيط للواحدي ٦/ ٤٦٠، و دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيِر الآيِ والسُّوَر لعبد القاهر الجرجاني ٥٨٦/٢ دراسة وتحقيق: وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، و إياد عبد اللطيف القيسي مجلة الحكمة، بريطانيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢١٤/٢، ومفاتيح الغيب ٥٣/١٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٣٦٥/١ تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ، والتفسير المظهري المؤلف: محمد ثناء الله المظهري ٨٦/٢ المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ و تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي السايس صفحة ٢٦٩ المحقق: ناجي سويدان الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١

(٤) التوبة: الرجوع من الذنب، وتاب إلى الله توبةً ومتاباً، وقد تاب الله عليه: وفقه لها . الصحاح ١/ ٩١، ولسان العرب ٢٣٣/١

عَلَيْكُمْ} لها مرحلتان:

الأولى: تشريعه **سبحانه** التوبة لهم أولاً وتوفيقهم إليها، ويدل عليه قوله تعالى: { ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ }(١) أي: وفقهم

للتوبة ليتوبوا، وهذا محض فضل منه**تعالى** فإن المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة.

والثانية: قبوله **سبحانه وتعالى** التوبة بالتجاوز عن الذنب، والرجوع بالنفس عن المعصية إلى الطاعة، ليفتح لها مجالاً لتنطلق في الخير من جديد ويدل على ذلك قوله تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ}(٢).

وتوبة العبد محفوفة بهاتين التوبتين من ربه: فالله **تعالى** تاب عليه أولاً بأن شرع له التوبة، فأقبل بقلبه على التوبة والإنابة والرجوع، ثم تاب عليه بالقبول والجزاء والإحسان. (٣)

وخُتمت الآية الكريمة بصفتي العلم والحكمة لمناسبة الهداية والتبيين لبيان أنَّه **سبحانه وتعالى** ذو علم شامل لجميع الأشياء، يعلم ما ينفع عباده المؤمنين وما يضرّهم، ويراعي فيما شرعه لهم الحكمة والمصلحة .

يقول ابن عاشور: "وقوله: {والله عليم حكيم} مناسب للبيان والهداية والترغيب

---

(١) سورة التوبة ٩ من الآية ١١٨

(٢) سورة الشورى ٤٢ من الآية ٢٥

(٣) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٥٩٥/٢ راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٥/٦ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ولباب التأويل ٣٦٥/١ ، وإرشاد العقل السليم ١٦٨/٢، وتفسير الشعراوي - الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي ٣٣١٠/٦ الناشر: مطابع أخبار اليوم سنة النشر ١٩٩٧م.

افي التوبة بطريق الوعد بقبولها، فإن كل ذلك أثر العلم والحكمة في إرشاد الأمة وتقريبها إلى الرشد" هـ. (١)

وقوله تعالى: { وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ } ليس تكراراً وتأكيداً لقوله: {ويتوب عليكم}، بل هو كلام مبتدأ لبيان ما يريده **سبحانه وتعالى** لعباده من خير وصلاح، وما يريده لهم الفاسقون من شر وفساد.

ويدل على عدم التكرار اختلاف متعلق الإرادتين، فإرادة التوبة أولاً جاءت على سبيل العلة أي أراد الله **تعالى** ما أراد من التبيين والهداية ليتوب عليكم، وذلك بتشريعه التوبة لكم، أما إرادة التوبة ثانياً فجاءت لبيان قبوله **سبحانه وتعالى** التوبة منكم.

يقول أبو السعود: "{والله يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} جملةٌ مبتدأةٌ مَسوقةٌ لبيان كمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة، لا لبيان إراداته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير" هـ .(٢)

وقال أبو حيان: " تعلق الإرادة أولاً بالتوبة على سبيل العلية، لأن قوله: ويتوب عليكم، معطوف على العلة، فهو علة، وتعلقها هنا على سبيل المفعولية، فقد اختلف التعلقان فلا تكرار، وكما أراد سبب التوبة فقد أراد التوبة عليهم، إذ قد يصح إرادة السبب دون الفعل" هـ. (٣)

وللدلالة على اختصاصه **سبحانه وتعالى** بتشريع التوبة وقبولها، قدَّم المسند إليه في قوله: { وَاللَّهُ يُرِيدُ }، فهو وحده الذي يريدها لا غيره، ولهذا شرعها لكم

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ١٨

(٢) إرشاد العقل السليم ١٦٩/٢، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان بن حسن ٩١/٣عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

(٣) البحر المحيط ٣/ ٦٠٢، وتفسير الراغب الأصفهاني ١١٩٦/٣ تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، و الدر المصون ٦٦١/٣

وقبلها منكم، بخلاف غيره ممن يريد صرفكم عن الطاعة، واتباعكم المعاصي والشهوات.

يقول ابن عاشور: "والمقصد من التعرض لإرادة الذين يتبعون الشهوات تنبيه المسلمين إلى دخائل أعدائهم، ليعلموا الفرق بين مراد الله من الخلق. ومراد أعوان الشياطين، وهم الذين يتبعون الشهوات.

ولذلك قدم المسند إليه على الخبر الفعلي[١] في قوله: والله يريد أن يتوب عليكم ليدل على التخصيص الإضافي[٢]، أي الله وحده هو الذي يريد أن يتوب عليكم، أي يحرضكم على التوبة والإقلاع عن المعاصي، وأما الذين يتبعون الشهوات فيريدون انصرافكم عن الحق، وميلكم عنه إلى المعاصي" هـ. [٣]

ولمَّا كانت إرادة الله **تعالى** التوبة من العباد ثابتة ودائمة عبَّر بالجملة الإسمية للدلالة على الثبوت والدوام، بخلاف إرادة الذين يتبعون الشهوات فحادثة ومتجددة، فلذا جاء التعبير بالجملة الفعلية، للدلالة على التجدد والحدوث. [٤]

---

(١) قال عبد القاهر. وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي، إن ولي حرف النفي، كقولك: "ما أنا قلت هذا"، أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك....، فإن كان ما وليه معرفة كقولك "أنا فعلت" كان القصد إلى الفاعل وينقسم قسمين أحدهما: ما يفيد تخصيصه بالمسند، للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه، كقولك "أنا كتبت في معنى فلان لا غيري.
الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٥٣/٢ المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي ١١٠/١ الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، والبلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن حَبَنَّكَة ٣٦٤/١ الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
(٢) فهو بالنسبة إلى من توهم المخاطب اشترك معه في الإرادة شخص آخر، فيكون قصر أفراد . حاشية الإيضاح ٥٣/٢
(٣) التحرير والتنوير٥/ ٢٠
(٤) البحر المحيط في التفسير٣/ ٦٠٢، وإرشاد العقل السليم٢/ ١٦٩، والدر المصون ٣/ ٦٦١

والمقصود بالشهوات[١] في قوله تعالى: { وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا } شهوات الدنيا ولذاتها فيما حرمه الشرع دون ما أحله، واتباعها هو أن يأتمر الإنسان لها حيثما دعته في كل الأحوال وهذا هو سبب الذم، أمَّا اتباعها من حيث أمر الشرع والعقل فهو اتباع لهما وليس لها. [٢]

والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة والفسقة، وتباينت أقوال المفسرين في تحديدهم، فقيل هم الزناة يريدون أن يزني أهل الإسلام، وقيل هم اليهود والنصارى، أو اليهود خاصة لأنهم يحلون: نكاح الأخت من الأب، وقيل المراد بهم العموم فيعم جميع أهل الباطل في دينهم، وكل متبع شهوة غير مباحة، وهذا ما رجحه الطبري وكثير من المفسرين. [٣]

وللدلالة على كونهم منهمكين في الشهوات، متبعين لها على كل حال، عبَّر بقوله {يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} كأنَّ الشهوة هي التي دعتهم إلى السير ورائها، وهذا

---

(١) شَهِيَ الشيءَ وشَهاهُ يَشْهاهُ شَهْوَةً واشْتَهَاهُ وتَشَهَّاهُ: أَحَبَّه ورَغِب فِيهِ. لسان العرب١٤/ ٤٤٥

وعرف الجرجاني الشهوة بأنَّها: "حركة للنفس؛ طلبًا للملائم". التعريفات للشريف الجرجاني صفحة ١٢٩ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر طبعة: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ومعجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي صفحة ٢٦٦ الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢) جامع البيان للطبري ٨/ ٢١٢، وتفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١١٩٤، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ١٢٩٦/٢ الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن ٩١/٣

(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٢١٢، والنكت والعيون للماوردي ٤٧٤/١ المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، والتيسير في التفسير لنجم الدين النسفي ٥١٣/٤ المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، وزاد المسير ١/ ٣٩٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٠

على طريقة الاستعارة التمثيلية. [١]

يقول الألوسي: " {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} يعني الفسقة لأنهم يدورون مع شهوات أنفسهم من غير تحاش عنها فكأنهم بانهماكهم فيها أمرتهم الشهوات باتباعها فامتثلوا أمرها واتبعوها فهو استعارة تمثيلية، وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له لا لها" هـ.[٢]

وعبَّر عن رغبتهم في إضلال غيرهم بـ (الإرادة) لمقابلة قوله تعالى {يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} على طريق المشاكلة.[٣]

وعرف المسند إليه باسم الموصول[٤]، للإشارة إلى نوع بناء الخبر المحكوم به على المسند إليه، ففي مضمون الصلة وهو قوله { يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ } ما يشير إلى أن الخبر المبني على الموصول وصلته من جنس الذم.

---

(١) الاستعارة التمثيلية هي اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل ، للمبالغة فيه ، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه ، فوجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، وسميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة، للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا . بغية الإيضاح ٥١٣/٣ ، جواهر البلاغة ٢٧٥/١

(٢) روح المعاني للألوسي ٣/ ١٥المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ، وتفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١١٩٤، والبحر المحيط ٣/ ٦٠٢، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٦٩

(٣) المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } سورة المائدة ٥ من الآية ١١٦، المراد: ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس (للمشاكلة). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع صفحة٣٠٩، وبغية الإيضاح ٥٨٨/٤، والبلاغة العربية ٤٣٨/٢

(٤) من دواعي تعريف المسند إليه باسم الموصول : قصد الإيماء إلى وجه بناء الخبر؛ أي: الإشارة إلى نوع الخبر المراد إسناده إلى المسند إليه المعبر عنه باسم الموصول، من حيث كونه مدحًا أو ذمًّا أو نجاحًا أو إخفاقًا أو ثوابًا أو عقابًا، فإن المتكلم في بعض المقامات قد يقصد إشعارَ السامع بنوع الخبر قبل النطق به فيقتضيه هذا القصد أن يعرف المسند إليه بالموصولية؛ ليتحقق له الإيماء إلى نوع الخبر؛ نظرًا لما يكون في الصلة من مناسبة للخبر، تشعر بنوعه وطريق إسناده إلى الموصول قبل النطق به .

يقول صاحب التحرير: وإطلاق الإرادة على رغبة أصحاب الشهوات في ميل المسلمين عن الحق لمشاكلة {يريد الله ليبين لكم}، والمقصود: ويحب الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا، ولما كانت رغبتهم في ميل المسلمين عن الحق رغبة لا تخلو عن سعيهم لحصول ذلك، أشبهت رغبتهم إرادة المريد للفعل ،.... وفي ذكر هذه الصلة هنا تشنيع لحالهم، ففي الموصول إيماء إلى تعليل الخبر" هـ. [١]

والميل[٢] عند اطلاقه وإن كان عامًا في الميل إلى الخير والشر، لكن المقصود به هنا الجور عن قصد السبيل، ولم يأت به خاصاً لبيان أنَّهم يريدون ميل المسلمين على أية جهة.

قال الراغب: " فإن قيل: فهلا خصَّ الميل ليزيل الإشكال، إذ الميل تارة إلى الحق وتارة إلى الباطل؟

قيل: لما كانت العدالة وسطاً وكان أطرافها كلها جورا ولذلك سميت وسطاً، وسواءً، وعدلاً، وصراطًا مستقيمًا نبّه بإطلاق لفظ الميل: أن الكفار يريدون منكم الميل عن العدالة على أي وجه كان، إفراطاً كان أو تفريطًا" هـ.[٣]

وللمبالغة في إرادتهم ميل المسلمين عن الحق: أكد فعل الميل بالمصدر، ووصفه بالعِظَم فقال:{ مَيْلًا عَظِيماً}، وهذا مقارنة بمن اقترف ذنباً على ندرة، واعترف بأنه خطيئة ولم يستحلها.

يقول أبو حيان" وأكد فعل الميل بالمصدر على سبيل المبالغة، ولم يكتف حتى وصفه بالعظم، وذلك أن الميول قد تختلف، فقد يترك الإنسان فعل الخير

المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عونى ٣٥/٢ الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ، البلاغة العربية ٤٣٣/١

(١) التحرير والتنوير٥/ ٢٠

(٢) المَيْلُ: العدول عن الوسَط إلى أَحَد الجانبين، ويُستعمَلُ في الجَوْر. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صفحة ٧٨٣ المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١١٩٤

لعارض شغل أو لكسل أو لفسق يستلذ به، أو لضلالة بأن يسبق له سوء اعتقاد، ويتفاوت رتب معالجة هذه الأشياء، فبعضها أسهل من بعض، فوصف مثل هؤلاء بالعظم، إذ هو أبعد الميول معالجة وهو الكفر" هـ. (١)

وتباينت أقوال العلماء في وجه التخفيف(٢) الوارد في قوله **تعالى** :{يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا}، فخصه بعضهم بما أخبر به في الآيات السابقة من إباحة نكاح الأمة، عند عجز الإنسان عن نكاح الحرة وخوف العنت.(٣)

وجمهور المفسرين على أنَّه يعم كل ما خففه الله **تعالى** على عباده رحمة منه وفضلاً، فيشمل التخفيف في العبادات والرخص، وفي تشريعه التوبة لهم وقبولها، وعدم تكليفهم بما ليس في وسعهم ولا ما يطيقون، وتَرْكِ استئصالهم بالعقوبات، وغير ذلك مما خففه الله تعالى عن هذه الأمة ولم يخففه عن غيرها من الأمم الماضية. (٤)

يقول الواحدي: " قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ}، خص بعضهم التخفيف في هذه الآية، فقال: المراد به نكاح الأمَة عند الضرورة، والباقون قالوا: هذا عام في كل أحكام الشرع، وفي جميع ما يَسّره لنا وسهّله علينا إحسانًا منه إلينا، ولم يُثَقِّل التكليف علينا كما ثَقّل على بني إسرائيل بفضله ولُطفه" هـ. (٥)

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٦٠٢، وتفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١١٩٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٧٠/٢ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
(٢) التخفيف: ضد التثقيل، والخفة: ضد الثقل، واسْتَخَفَّهُ: خلاف استثقله. الصحاح ٤ / ١٣٥٣، ولسان العرب ٩/ ٧٩
(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٢١٥، وبحر العلوم ١/ ٢٩٧، والنكت والعيون ١/ ٤٧٤، وزاد المسير ١/ ٣٩٥
(٤) تفسير الراغب ٣/ ١١٩٩، والتيسير في التفسير ٤/ ٥١٤، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٠، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٥٥، والبحر المحيط ٣/ ٦٠٤، وروح المعاني٣/ ١٥
(٥) التفسير البسيط ٦/ ٤٦٦

ويدل على أنَّ المراد به العموم نصوص كثيرة منها قوله **سبحانه وتعالى:** {يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ} [١]، وقوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }[٢]، وقوله **سبحانه** : { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } [٣]، وقوله **تعالى** : {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}. [٤]

قال ابن عرفة: "وهذا يشير إلى أن جميع التكاليف خفيفة، فينبغي أن تؤخذ بالقبول والامتثال" هـ. [٥]

وحذف المسند إليه[٦]، وبنى الفعل للمجهول في قوله تعالى: { وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا}، لأنَّ الفاعل معروف لا يمكن أن يجهله السامع، وهو الله **سبحانه وتعالى**، ولأن الغرض من الكلام أن يُعلم أنه مخلوق من ضعف، وليس الغرض أن يعلم مَن خلقه.

يقول ابن جني: " فالغرض في نحو هذا المعروف الفاعل إذا بني للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسب، وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه به" هـ.[٧]

---

(١) سورة البقرة ٢ من الآية ١٨٥
(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٨٦
(٣) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٥٧
(٤) سورة الحج ٢٢ من الآية ٧٨
(٥) تفسير ابن عرفة لمحمد ابن عرفة التونسي ٢٢/٢ المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
(٦) من الدواعي المعنوية لحذف الفاعل: كون الفاعل معلوما للمخاطب حتى لا يحتاج إلى ذكره له .علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق صفحة ١٢٧ الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، وعلوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب صفحة ٣١٨ الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م
(٧) المحتسب لابن جني ١٠٤/١، و١٣٥/١ الناشر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة : ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

واللام في {الإِنْسَانُ} للاستغراق الحقيقي(١) فيشمل أفراد الجنس كلهم حقيقة، أي: "وخلق كلّ فرد من أفراد جنس الإنسان ضعيفاً، والواقع يشهد لإرادة هذا الاستغراق".(٢)

وأكثر المفسرين على أنَّ المراد بضعف الإنسان: هو عدم صبره عن جماع النساء خاصة، حيث يذهب عقله عندهن، ولا يكون في شيء أضعفَ منه في النساء. (٣)

وهذا المعنى يؤيده: موافقته لسياق الآيات في الإذن له بنكاح الأمة عند تعذر نكاح الحرة، ويؤكده أيضاً ما ذكروه من آثار عن الصحابة والتابعين ومنها:

ما ورد عن عبادة بن الصامت**رضى الله عنه** قال: ألا ترونني، لا أقوم إلا رفدا(٤)، ولا آكل إلا ما لُوِّق لي(٥) وقد مات صاحبي(٦) منذ زمان، وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وأن لي ما تطلع عليه الشمس، مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه علي، إنه لا سمع له ولا بصر".(٧)

---

(١) الاستغراق هو: الشمول لجميع الأفراد دفعة واحدة بحيث لا يخرج عنه شيء. التعريفات للجرجاني صفحة٢٤

(٢) اللام تأتي لاستغراق أفراد الجنس كلهم حقيقة أو عرفاً، وهي التي تدل على ما تدل عليه لفظة "كل" لو كانت بدلها. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ٤٣٨/١

(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٢١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٢٦/٣، وبحر العلوم١/ ٢٩٧، والهداية الى بلوغ النهاية٢/ ١٢٩٧، والنكت والعيون١/ ٤٧٤، والتفسير البسيط ٦/ ٤٦٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٤١٨/١ المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

(٤) المرافدة: المعاونة، ورفده وأرفده: أعانه، والمراد: لا يقوم إلا بإعانة من حوله له. الصحاح ٤٧٥/٢، ولسان العرب ٣/ ١٨١

(٥) قال الجوهري: يقال: "لا آكل إلا ما لُوِّقَ لي"، أي لُيِّنَ لي حتَّى يصير كالزُبد في لينه. الصحاح ٤/ ١٥٥١، ولسان العرب ٣٣٣/١٠

(٦) يريد الفرج أنه لا يقدر على شيء ولا يعرفه، يقول فأنا مع هذا أكره أن أخلو بامرأة. شعب الإيمان ٣١٨/٧

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها" ٣١٨/٧ رقم ٥٠٦٥ وقال عنه محقق الكتاب (د عبد العلي عبد الحميد حامد): إسناده: فيه شيخ المؤلف وشيخه ولم نجد لهما ترجمة، وذكره بسنده المزي في "تهذيب الكمال في ترجمة عبادة بن الصامت " ١٤ / ١٨٧. تحقيق: د بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، (١٤١٣ هـ)، وذكره الذهبي في ترجمته أيضاً في سير

وعن سعيد بن المسيب **رضى الله عنه** قال: ما أيس الشيطان من بني آدم إلا أتاهم من قبل النساء، وقد أتى عليَّ ثمانون سنة، وذهبت إحدى عيني، وأنا أعشو(١) بالأخرى، وإن أخوف ما أخاف عليَّ فتنة النساء. (٢)

وحمل بعض المفسرين الضعف على العموم – وهو الأولى لعموم اللفظ– فالإنسان ضعيف في كل شيء، وذكروا فيه معان أخرى منها: ضعفه في أصل الخلقة لخلقه من ماء مهين، واستمالته لشهوته وهواه، فهو لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات، وهذا أشد الضعف فاحتاج إلى التخفيف. (٣)

قال الراغب: " ووصف الإنسان بأنه خلق ضعيفًا إنما هو باعتباره بالملأ الأعلى نحو: {ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا }(٤)، أو باعتباره بنفسه دون ما يقويه من فيض الله ومعونته، أو اعتبارًا بكثرة حاجاته، وافتقار بعضهم إلى بعض، أو اعتبارًا بمبدئه ومنتهاه، كما قال **تعالى** : {ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن

أعلام النبلاء ٨/٢ تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، والكشف والبيان ١٠/ ٢٣٦، والتيسير في التفسير ٤/ ٥١٤، ٧٢، والجامع لأحكام القرآن٥/ ١٤٩

(١) العشا، مقصورة: سوء البصر بالليل والنهار. القاموس المحيط للفيروزآبادى صفحة ١٣١١ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

(٢) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى في ترجمة سعيد ابن المسيب " ٥/ ١٠٣ دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ١٦٦/٢ الناشر: مطبعة السعادة ـ بجوار محافظة مصر عام النشر: ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م، شعب الإيمان المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) ٣٢١/٧ رقم ٥٠٦٩ وقال عنه محقق الكتاب (د عبد العلي عبد الحميد حامد) إسناده: ضعيف، والكشف والبيان ١٠/ ٢٣٦، والتيسير في التفسير ٤/ ٥١٤، ٧٢، والكشاف ٥٠١/١ ، والجامع لأحكام القرآن٥/ ١٤٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٤، والكشاف ١/ ٥٠١، وزاد المسير ١/ ٣٩٥، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن٥/ ١٤٩، ولباب التأويل ١/ ٣٦٥

(٤) سورة النازعات ٧٩ الآية ٢٧

ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ }[(١)] ، فأمَّا إذا اعتُبر بعقله، وما أعطاه الله من القوة التي يتمكّن بها من خلافة الله في أرضه، ويتبلّغ بها في الآخرة إلى جواره **تعالى** فهو أقوى ما في هذا العالم، ولهذا قال **تعالى** : { وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا }هـ[(٢)]. [(٣)]

ويقول ابن جزي: "{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده، وجعل دينه يسراً، {وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً} قيل: معناه لا يصبر على النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك".[(٤)]

ومن خلال تفسير هذه الآيات الكريمة يظهر أنَّها بينت جوانب عظيمة من مظاهر فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين، تتجلى في النقاط التالية:

١ – بينت الآيات منة الله تعالى على العباد في تعليله الأحكام، لتطمئن النفوس ويأتي العمل بانشراح صدر وطيب خاطر، فبين لهم ما ينفعهم وما يضرهم في دينهم ودنياهم؛ وهذا من لطفه وكرمه **سبحانه** أن لا يدع الناس على جهلهم.

٢ – كمال هذه الأمة وشريعتها، فما من خير كانت عليه الأمم السابقة إلا ولهذه الأمة منه نصيب، وهذا من عظيم فضله علينا أن هدانا إلى طرق الصالحين ممن كانوا قبلنا، وقد مثل النبي **صلى الله عليه وسلم** نفسه مع

---

(١) سورة الروم ٣٠ من الآية ٥٤

(٢) سورة الإسراء ١٧ من الآية ٧٠

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٣/ ١١٩٩، والبحر المحيط ٣/ ٦٠٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣٩٨/٢ المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

(٤) التسهيل لابن جزي الكلبي ١٨٨/١ المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ، و المحرر الوجيز ٢/ ٤٠

الأنبياء قبله ببناء حسن يعجب الناظرين، إلا أنهم كلما طافوا به قالوا: هذا البناء كامل إلا موضع هذه اللبنة، قال **صلى الله عليه وسلم** : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين). [1]، فتمم الله به مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

٣ – عظم رحمته **سبحانه وتعالى** في التجاوز عن الذنوب: فهو تعالى يريد توبة العباد، ولهذا شرعها لهم، وقبلها منهم، ليتجاوز عن ذنوبهم، وهو **سبحانه وتعالى** يحب التوابين، كما قال تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ }[2]، وهذا غاية الكرم من الله**تعالى** ، وذلك أن التوبة يعود نفعها علينا لا عليه، وهو يحبها لمصلحتنا، وقد ثبت عن النبي **صلى الله عليه وسلم** أنَّه قال: (إن الله يفرح بتوبة عبده، كما يفرح الرجل الذي أضل ناقته في أرض فلاة، فطلبها فلم يجدها، فاضطجع تحت شجرة ينتظر الموت قد أيس من الحياة فإذا بخطام ناقته فأخذ به وقال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ أخطأ من شدة الفرح"). [3]

٤ – أثبتت الآيات اسمين من أسماء الله تعالى، وهما العليم والحكيم، وما تضمناه من الوصف، فالعليم تضمن العلم بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم، والحكيم تضمن الحكمة فيما دبر من أمورهم، ومن ثمرة هذا اقتناع الإنسان بما يجريه الله **تعالى** في كونه، حتى المصائب التي تنال العباد لا

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ١٣٠٠/٣ حديث رقم ٣٣٤٢ المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، ودار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٢٢

(٣) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٤/٤ حديث رقم ٢٧٤٧ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

شك أن لها حكمة ينبغي أن يقتنع الإنسان بوجودها، ولا يعترض على الله تعالى بها.

٥ – حثت على مراقبة الله **سبحانه وتعالى** في السر والعلانية، ويؤخذ ذلك من ثبوت صفة العلم له **تعالى** ؛ لأنَّ الإنسان متى علم أن الله عالم به، فإن ذلك يوجب له مراقبة الله **سبحانه** ، فلا يفقده حيث أمره ولا يجده حيث نهاه.

٦– وضحت منة الله تعالى في تطهير المؤمنين من الأخباث وضلال الجاهليات، حيث كشفت الآيات عن نفسية الإنسان، فالزناة يرغبون في كون الناس كلهم زناة، والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد يود أن يكون كل الناس مثله، كما أن الطاهر يود أن يطهر ويصلح كل الناس.

٧ – كشفت الآيات عن إرادة الله **سبحانه وتعالى** التخفيف على عباده، وقد شمل تخفيفه جميع أحكام الشرع، وهذا على الصحيح وليس في نكاح الإماء فقط.

٨ – دلت على مدى ضعف الإنسان، حيث إنَّ هواه يستميله، وشهوته وغضبه يستخفانه، ولهذا ينبغي له إذا شمخت به نفسه وعلا أنفه أن يذكر حقيقة نفسه وهي الضعف، حتى لا يطغى أو يزيد. (١)

(١) التفسير المنير ٥/ ٢٨، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

المطلب الثاني

اجتناب الكبائر سبب لتكفير السيئات، ودخول الجنة

قال تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا} [١]

جاءت هذه الآية الكريمة تعقيباً عمَّا طلبه الله **سبحانه وتعالى** من عباده في الآيات السابقة في شأن اليتامى، والنساء، وفى حفظ الأموال والدماء، أمراً أو نهياً، وبينت رحمة واسعة من رحمات الله**تعالى** بعباده المؤمنين، ذلك أنَّ فيهم ضعفاً يعلمه الله **سبحانه وتعالى** الذي خلقهم، وقليل منهم أولئك الذين يستقيم خطوهم على طريق الله استقامة كاملة، لا يضطرب فيها خطوه، أو تزل فيها قدمه! ولو يأخذ الله عباده على كلّ انحرافة ينحرفونها، أو زلة يزلّونها لما نجا منهم أحد، ولا دخل عند الله مداخل الإحسان والرضوان إنسان".[٢]

وعلى دأب القرآن الكريم في الترهيب والترغيب، والإنذار والتبشير، بعدما نهى الله **سبحانه** عباده عن الكبائر فيما سبق وتوعد من فعل شيئاً منها، جاء هذا التعقيب العظيم منه **سبحانه وتعالى**، ليفتح لهم أبواب إحسانه وغفرانه، فيدخلوا في سعة من رحمته ورضوانه، إذا هم اجتنبوا الكبائر، وعصموا أنفسهم منها، وخافوا الله **تعالى** فيها.

يقول البقاعي: "ولما بين تعالى ما لفاعل ذلك تحذيراً، وكان قد تقدم جملة من الكبائر، أتبعه ما للمنتهي تبشيراً، جواباً لمن كأنه قال: هذا للفاعل، فما للمجتنب؟ فقال على وجه عام: {إن تجتنبوا}...." هـ. [٣]

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ٣١
(٢)التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب ٧٧٢/٣ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢٦١/٥ الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، وتفسير القرآن الحكيم ٣٩/٥ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

وفي هذه الآية وعد الله **سبحانه وتعالى**عباده المؤمنين إذا اجتنبوا الكبائر وعدين: تكفير سيئاتهم، وإدخالهم الجنة.

وقد ذهب جماعة من العلماء(١): إلى أن الذنوب كلها كبائر، باعتبار أنَّ كل مخالفة هي بالنسبة إلى جلال الله **تعالى** كبيرة، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، ولا ذنب يُغفر باجتناب ذنب آخر، بل كل ذنب كبيرة وصاحبه ومرتكبه في مشيئة الله **سبحانه وتعالى** غير الكفر، وحملوا الكبائر الواردة في قوله **تعالى** : {كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ } على أنواع الشرك والكفر.

ويكون معنى الآية: إذا اجتنبتم كبائر الشرك صار ما دونها موعوداً لها المغفرة بالمشيئة بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (٢) ، فهذه الآية مقيدة لقوله {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه}، فهي وعد بالمغفرة مقترناً بمشيئته **تعالى** لما دون الشرك، فمن وقع في شيء من الذنوب غير الشرك فهو في مشيئة الله **تعالى** إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه.(٣)

---

(١) منهم: الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني، وأبو المعالي، وأبو نصر عبد الرحيم القشيري، والباقلاني وغيرهم. وقد حكى هذا القول عنهم النووي وابن حجر وغيرهما. شرح صحيح مسلم للنووي ٨٤/٢ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤٠٩/١٠ رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: المكتبة السلفية - مصر ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ ، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي أبو العباس ٨/١ الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(٢) سورة النساء ٤ من الآية ٤٨

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٣/ ١٤٤ لأبي منصور الماتريدي ١٤٤/٣ المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٥٨، والبحر المحيط ٣/ ٦١٣، وفتح البيان ٣/ ٩٦

قالوا: ويؤيد ذلك قراءة قوله تعالى: { كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ } [1] : {كَبِيْرَ} بالإفراد، فإنَّ المراد به الشرك.[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فقال رجل: يا رسول الله وإن كان يسيراً؟ قال: (وإن كان قضيباً من أراك) [3]، فقد جاء الوعيد على اليسير، كما جاء على الكثير.

وروي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: "كل شيء عُصِي اللهُ فيه فهو كبيرة، فمن عمل منها شيئاً فليستغفر الله، فإن الله لا يُخلّد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام، أو جاحد فريضة، أو مكذباً بقدر".[4]

وضُعِّفَ هذا القول بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على ذنوب بأعيانها أنها كبائر الذنوب، ولو كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يُكَفَّر باجتناب الكبائر وبين الكبائر.

وأيضاً قد جاء في بعض الآيات عطف الصغيرة على الكبيرة، والفسوق على العصيان مثل قوله تعالى : {لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ}[1]،

---

(١) الوارد في سورتي الشورى ٤٢ من الآية ٣٧، والنجم ٥٣ من الآية ٣٢.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر، (كبير) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد في الموضعين، وقرأ الباقون بفتح الباء وألف، وهمزة مكسورة بعدها فيهما على الجمع، واتفقوا على قراءة لفظ { كبائر} الوارد في سورة النساء بالجمع. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، صفحة ٣١٩ المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، وحجة القراءات لابن زنجلة صفحة ٦٤٣ محقق الكتاب: سعيد الأفغاني عدد الأجزاء: ١ الناشر: دار الرسالة، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٧/٢ المحقق : علي محمد الضباع الناشر : المطبعة التجارية الكبرى

(٣) صحيح مسلم . باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١٢٢/١ رقم ١٣٧

(٤) جامع البيان للطبري ٨/ ٢٣٣، والتفسير البسيط ٦/ ٤٧٢

وقوله:{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ}(٢)، وقوله:{ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ}(٣)، والعطف يقتضي المغايرة، فلا بد من الفرق بينهم، فالكبائر هي الفسوق، والصغائر هي العصيان.(٤)

وذهب جمهور العلماء(٥) إلى أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، كما وردت بذلك النصوص من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب بجانب ما تقدم قوله تعالى:{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }، فقد دل إضافة لفظ {كبائر} إلى قوله: {ما تنهون عنه} على أن المنهيات قسمان: كبائر، ودونها وهي التي تسمى الصغائر، بطريق المقابلة.

وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ}، فسمى الله **تعالى** الكبائر فواحش وسمى مقابلها اللمم، فثبت بذلك أيضاً أن المعاصي عند الله قسمان: معاص كبيرة فاحشة، ومعاص دونها يكثر أن يلم المؤمن بها.

ومن السنة: قوله **صلى الله عليه وسلم** : (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر). (٦)

وقوله **صلى الله عليه وسلم** : (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه). (٧) وهذا هو القول الصحيح .

---

(١) سورة الكهف ١٨ من الآية ٤٩
(٢) سورة القمر ٥٤ الآية ٥٣
(٣) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ٧
(٤) مفاتيح الغيب ١٠/ ٥٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٤٠٣
(٥) مفاتيح الغيب ١٠/ ٥٩، والجامع لأحكام القرآن٥/ ١٥٨، والبحر المحيط ٣/ ٦١٣، والتحرير والتنوير٥/ ٢٦، وفتح البيان ٣/ ٩٦
(٦) صحيح مسلم: باب (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ....) الحديث. ١٤٤/١ حديث رقم ٢٣٣
(٧) صحيح البخاري . باب لا يسب الرجل والديه ٢٢٢٨/٥ حديث رقم ٥٦٢٨

يقول النووي: "وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة، واستعمال سلف الأمة وخلفها" هـ. (١)

وقال الغزالي في البسيط: "إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه وقد فُهِما من مدارك الشرع".(٢)

وبناء على هذا التقسيم تباينت أقوال المفسرين في تعريف الكبائر والصغائر، وهل يمكن التمييز بينهما؟

فذهب الواحدي وتابعه بعض المفسرين إلى أنَّ الكبيرة لا تتميز عن الصغيرة بحدٍ يعرفها العباد به، ولكنَّ الله **تعالى** أبهمها عنهم إمعانًا في التحذير منها، لكيلا يكون فيه إغراء بالمعصية، فيتجرؤون على فعل الصغائر بعد علمهم أنَّها مكفرة باجتناب الكبائر، وليكون اجتنابهم للمعاصي كلها على السواء.

يقول الواحدي: " والصحيح أنه ليس لها حدّ يعرفه العباد وتتميّز به من الصغائر تميُّزَ إشارة، ولو عُرف ذلك لكانت الصغائر مباحة، ولكن الله تعالى يعلم ذلك وأخفاه عن العباد، ليجتهد كل أحد في اجتناب ما نهى عنه رجاء أن يكون مجتنب الكبائر، ونظير هذا في الشريعة إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة" هـ.(٣)

وتعجب ابن عاشور من هذا القول، ورمى قائله بالغفلة فقال: " فمن العجائب أن يقول قائل: إن الله لم يميز الكبائر عن الصغائر ليكون ذلك زاجراً للناس

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٨٥/٢، وفتح الباري ٤٠٩/١٠، والداء والدواء لابن قيم الجوزية صفحة ١٢٥ الناشر: دار المعرفة - المغرب الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ٨/١

(٢) ذكر قول الغزالي: النووي في شرح صحيح مسلم ٨٥/٢، وابن حجر في فتح الباري ٤٠٩/١٠

(٣) التفسير البسيط ٦/ ٤٧٢، وتفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١٢٠٨، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٥٩ ، والتفسير الوسيط لطنطاوي ٣/ ١٢٨

عن الإقدام على كل ذنب، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى......، هكذا حكاه الفخر في التفسير، وقد تبين ذهول[١] هذا القائل، وذهول الفخر عن رده، لأن الأشياء التي نظروا بها ترجع إلى فضائل الأعمال التي لا يتعلق بها تكليف فإخفاؤها يقصد منه الترغيب في توخي مظانها ليكثر الناس من فعل الخير، ولكن إخفاء الأمر المكلف به إيقاع في الضلالة، فلا يقع ذلك من الشارع" هـ.[٢]

وذهب الجمهور من العلماء، إلى أنَّه يجب تمييز الكبيرة عن الصغيرة، وأن يكونا معلومين، لأنهما من الأسماء المتضايفة التي لا يُعرف أحدهما إلا بالآخر، والإنسان منهي عن اجتناب الكبائر، ومن لا يعرفها فهو مُعَرَّض للوقوع فيها، وتعددت أقوالهم في تعريف الكبائر، وملخصها ترجع إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: من قال إنَّ الكبائر تعرف بالعدد وهي محصورة في عدد معين، فقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: إحدى عشرة، وقيل: سبع عشرة، وقيل: سبعون، وقيل: سبعمائة. [٣]

ولا دليل على هذا القول سوى ما يرد في بعض الأحاديث من ذكر بعض هذه الأعداد، ومنها:

ما روي عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه **رضى الله عنه** قال: قال النبي صلى **الله عليه وسلم** : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر). ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا-، فقال: ألا وقول الزور)، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته يسكت. [٤]

---

(١) ذَهَلَ عن الشيء نسيه وغفل عنه. مختار الصحاح صفحة ١١٣

(٢) التحرير والتنوير٥/ ٢٦

(٣) هذه الأقوال مذكورة بأسانيدها في: جامع البيان للطبري ٨/ ٢٣٣، والكشف والبيان ١٠/ ٢٤٩، والنكت والعيون١/ ٤٧٦، ومعالم التنزيل٢/ ٢٠١، وزاد المسير ١/ ٣٩٦

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ٣٩٣/٢ رقم ٢٥١١

وعن أبي هريرة **رضى الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر

وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[١].

ولا شك أن الكبائر أكثر من هذه الثلاث أو السبع بدليل اختلاف العدد في الأحاديث الواردة عنه النبي **صلى الله عليه وسلم** ، ولذلك

قال ابن عباس **رضى الله عنه** حين سئل عن الكبائر: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وفي رواية عنه هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع".[٢]

وإنما وقع الاقتصار على هذه السبع وفي الرواية الأخرى ثلاث وفي الأخرى أربع كما قال النووي: " لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيما فيما كانت عليه الجاهلية ولم يذكر في بعضها ما ذكر في الأخرى وهذا مصرح بما ذكرته من أن المراد البعض وقد جاء بعد هذا من الكبائر شتم الرجل والديه وجاء في النميمة وعدم الاستبراء من البول أنهما من الكبائر وجاء في غير مسلم من الكبائر اليمين الغموس واستحلال بيت الله الحرام". [٣]

---

(١) المرجع السابق، باب قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...}سورة النساء ٤ من الآية ١٠ ، ٣/ ١٠١٧، رقم ٢٦١٥

(٢) فتح الباري ١٢/ ١٨٣، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني٧٤/١٠ رقم ٢٠٧٥٦٠ تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل الناشر: دار التأصيل الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٣ م، وجامع البيان للطبري ٨/ ٢٣٣، والكشف والبيان ١٠/ ٢٤٩

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٨٤/٢، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٢٨٤/١ الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الاتجاه الثاني: قالوا إنَّ الكبائر غير محصورة بعدد معين، وهؤلاء اختلفوا في تعريفها وضبطها، وذكروا فيها تعاريف كثيرة[١]، أكتفي هنا بذكر تعريفين هما أصحها لخلوهما من الاعتراض:

التعريف الأول: أنَّ الكبيرة ما يترتب عليها حد في الدنيا أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب. [٢]

وعليه تكون الصغيرة: ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب.

وهذا الضابط رجَّحه ابن تيمية وجعله أمثل الأقوال لوجوه كثيرة منها:

أ – أنَّه يسلم من القوادح الواردة على غيره؛ فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة: كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص.

ب – أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل رضي الله عنهم، وغيرهم.

ج – أن الله تعالى قال: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما}، فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٨٥ – ٨٧، ومدارج السالكين ١/ ٤٩٥-٥٠٠ ، وفتح الباري ١٢/ ١٨٣،١٨٤ ، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ١/٥-١٠ الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٦٥/١

(٢) هذا التعريف مروي عن ابن عباس وجماعة من التابعين. جامع البيان ٨/ ٢٣٣

الله ولعنته وناره.

د – أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع، ويمكن به معرفة الفرق بين الكبائر والصغائر. [١]

التعريف الثاني: ذكره أبو العباس القرطبي فقال: " والصحيح إن شاء الله تعالى: أن كل ذنب أطلق الشرع عليه أنه كبير أو عظيم، أو أخبر بشدة العقاب عليه، أو علق عليه حداً، أو شدد النكير عليه وغلظه، وشهد بذلك كتاب الله أو سنة أو إجماع فهو كبيرة".[٢].

وقد اختار هذا التعريف الحافظ ابن حجر، وارتضاه، وقال عنه: "من أحسن التعاريف". [٣]

والتكفير[٤] للسيئات معناه إبطالها، وإزالة ما يستحق عليها من العقوبات، وجعلها كأن لم تكن، وعكسه الإحباط وهو إبطال ثواب أعمال الخير بالسيئات.

يقول أبو هلال العسكري: "الفرق بين الاحباط والتكفير: أن الإحباط هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات وقد

حبط هو ومنه قوله تعالى: { وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا }[٥] ، وهو من قولك حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الردئ، والتكفير إبطال السيئات بالحسنات قال تعالى: { كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ }هـ [١].[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية الحراني ١١/ ٦٥٠-٦٥٧، ١٠٢المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي ٢٨٤/١

(٣) فتح الباري ١٢/ ١٨٤

(٤) قال ابن فارس: (كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو "الستر والتغطية"، وسميت الكفارات كفارات لأنها تكفر الذنوب أي تسترها. مقاييس اللغة ٥/ ١٩١، ولسان العرب ٥/ ١٤٧

(٥) سورة هود ١١ من الآية ١٦

واجتناب[٣] الكبائر الذي يكفر الله به الصغائر معناه: تركها نهائياً والتوبة منها، مع قدرة الإنسان عليها وإرادتها.[٤]

يقول اللقاني:" والمراد بالاجتناب ما يعم التوبة منها بعد ملابستها، لا ما يخص عدم مقارفتها بالمرة، وأمَّا اجتنابها بعد التلبس بها من غير توبة فلا تغفر به ذنوب صغائر".[٥]

وقد اتفق العلماء[٦] على أنَّ الله **سبحانه وتعالى** يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلاً منه **سبحانه**، بشرط الإتيان بالفرائض كما دلَّ عليه قوله **صلى الله عليه وسلم** : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر).[٧]

ولكنهم اختلفوا في هذا التكفير هل هو مقطوع به، أم غالب ظن؟

فقيل إنه قطعي، لوعده **تعالى** بذلك في كتابه حيث قال: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}، فهذا إيجاب منه **سبحانه** على نفسه

---

(١) سورة محمد ٤٧ من الآية ٢

(٢) معجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري صفحة ١٢ المحقق: الشيخ بيت الله بيات، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ، والصحاح ٢/ ٨٠٨، والكشاف ١/ ٥٠٣

(٣) جَنَّبَ الشيءَ وتجَنَّبه وجانَبَه وتجَانَبَه واجْتَنَبَهُ: بَعُدَ عَنْهُ. لسان العرب١/ ٢٧٨

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٥/٢ ، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي الطوسي ٢٢/٤ الناشر: دار المعرفة - بيروت

(٥) شرح جوهرة التوحيد المسمى: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام ابن إبراهيم اللقاني صفحة ٢٢٩ المالكي طبعة مطبعة السعادة – مصر الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

(٦) بل ذكر شارح المقاصد : "اتفاق الأمة عن أن الله تعالى يعفو عنها مطلقاً". شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ٣٩١/٣، قدم له إبراهيم شمس الدين بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، وشرح المواقف في علم الكلام. لعضد الدين الايجي تأليف السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ٣٤٠/٨ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان منشورات محمد علي بيضون.

(٧) صحيح مسلم: باب (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة .... الحديث). ١٤٤/١ حديث رقم ٢٣٣

بغفران الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، فلابد وأن الصغائر تغفر لا محالة تفضلاً منه سبحانه.

وقيل إنه ظني معلق بمشيئته **سبحانه وتعالى** فالصغائر يجوز أن تغفر، ولا يمكن القطع به، لأنها تصير كالمباحة لا مؤاخذة عليها، وفي ذلك إغراء بفعلها، كما أنَّه لا يجوز القول بالإيجاب على الله، لأنَّه **سبحانه وتعالى** لا يجب عليه شيء.

يقول ابن عطية: " واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة من الفقهاء وأهل الحديث يرون أن الرجل إذا اجتنب الكبائر وامتثل الفرائض، كفرت صغائره كالنظر وشبهه قطعاً بظاهر هذه الآية وظاهر الحديث، وأما الأصوليون فقالوا: لا يجب على القطع تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، وإنما يحمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء، والمشيئة ثابتة، ودل على ذلك أنه لو قطعنا لمجتنب الكبائر، وممتثل الفرائض بتكفير صغائره قطعاً لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بأنه لا تباعة فيه، وذلك نقض لِعُرَى الشريعة" هـ. (١)

ورجح شارح الجوهرة القول الثاني فقال بعد ذكره لكلام ابن عطية السابق: " وهذا هو الحق ". (٢)

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله **تعالى** : {وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا} وهذا هو الوعد الثاني من الله **سبحانه** لمن اجتنب الكبائر.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٣، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٥٩، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٥٨، والبحر المحيط ٣/ ٦١٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٢/ ٤٠٣، و تفسير الإيجي (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن عبد الرحمن الإِيجي ١/٣٥٠ دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م

(٢) شرح جوهرة التوحيد المسمى: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد صفحة ٢٢٩

والمدخل(١): إمَّا أن يكون اسماً للموضع الذي يدخلون إليه وهو الجنة، وإمَّا أن وصفاً للدخول إليها أي إدخالاً كريماً، وهذان المعنيان يأتيان على كلتا القراءتين الواردتين في هذه الكلمة.(٢)

حيث قرئت {مَدْخَلًا} بفتح الميم، على أنه مصدر من «دخل» الثلاثي، منصوب بفعل مضمر، والتقدير: وندخلكم فتدخلون مَدخلاً كريماً، أو اسم مكان والتقدير: وندخلكم مكاناً، وهذه القراءة موافقة لقوله تعالى: {وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ}.(٣)

وقرئت بضم الميم { مُدْخَلًا }، على أنه مصدر، أو اسم مكان أيضاً ولكن من «أدخل» الرباعي، وهذه يوافقها قوله تعالى: { حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ }. (٤)

قال أبو منصور الهروي: "من قرأهما (مُدْخَلًا) بضم الميم فهو مصدر أدخله مُدْخَلًا وإدخالاً، ويجوز أن يكون المدخلُ اسماً، كأنه وضع موضع الإدخال.

وَمَنْ قَرَأَ (مَدْخَلًا) بفتح الميم فله معنيان: أحدهما: مصدر دخل (مَدْخَلًا) أي دخولاً، والثاني: موضع الدخول" هـ. (٥)

---

(١) قال الجوهري: (المدخل) بفتح الميم الدخول وموضع الدخول أيضا تقول: دخل مدخلا حسنا، و(المدخل) بضم الميم الإدخال والمفعول أيضا من أدخل تقول: أدخله مدخل صدق. مختار الصحاح صفحة ١٠٣، والصحاح ٤/ ١٦٩٦، ولسان العرب ٢٤٠/١١

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الميم:{مَدْخَلًا كَرِيمًا}، وقرأ الباقون {مُدْخَلًا} بضم الميم. المبسوط في القراءات العشر لابن مِهْران صفحة ١٧٨ تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق عام النشر: ١٩٨١ م، والكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطيّ ٤٥٢/٢ المحقق: د. خالد المشهداني الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، والنشر ٢/ ٢٤٩

(٣) سورة الإسراء ١٧ من الآية ٨٠

(٤) سورة القدر ٩٧ من الآية ٥

(٥) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ، ٣٠٤/١ الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، وحجة القراءات لابن زنجلة صفحة١٩٩، والحجة لابن خالويه صفحة١٢٢، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسيّ ١٥٣/٣ المحقق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

ووصف المدخل بالكريم معناه كما قال الطبري: "الطيب الحسن، المكرَّم بنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دَخله، فلذلك سماه الله كريمًا" وهذا على تفسيره بالموضع.[١]

أمَّا على تفسيره بالدخول فمعنى وصفه بالكريم: التشريف والتكريم في الإدخال، عكس دخول الكفار والمنافقين.

ويُرجح تفسير المدخل بالموضع على كلتا القراءتين، ويؤيده اتفاق العلماء أنَّ المراد به الجنة، وقد وصفت بالمكان الكريم في قوله تعالى: { وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}.[٢]

يقول أبو علي الفارسي:" والمكان أشبه هاهنا، لأنا رأينا المكان وصف بالكريم، وهو قوله: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}[٣] ، فوصف المكان بالكريم فكذلك يكون قوله: { مَّدْخَلًا} يراد به المكان، مثل المقام، ويجوز أن يكون المراد به: الدخول، أو الإدخال، وإن كان قد وصف بالكرم، ويكون المعنى: دخولاً تكرمون فيه، خلاف مَنْ قيل فيه: {ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ }.هـ[٤].[٥]

وبعد دراسة هذه الآية الكريمة، أُلخص بعض فوائدها، وما أشارت إليه من هدايات، في النقاط التالية:

١ – دلت الآية الكريمة أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جمهور الفقهاء والمفسرين، ودلت أيضاً على أن الله تعالى يغفر الصغائر كاللمسة والنظرة باجتناب الكبائر، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب وهي إقامة الفرائض.

---

(١) جامع البيان للطبري ٨/ ٢٣٣
(٢) سورة الشعراء ٢٦ من الآية ٥٨
(٣) سورة الدخان ٤٤ الآيتان ٢٥،٢٦
(٤) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٣٤
(٥) الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٥٣، والتفسير البسيط ٦/ ٤٧٢، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٥٩، وغرائب القرآن ٢/ ٤٠٣، وروح المعاني ٣/ ١٨

٢ – يفهم من الآية بما أن الصغائر تقع مكفرة باجتناب الكبائر؛ أنَّ مَنْ لم يجتنب الكبائر أُخذ بالصغائر؛ لكن الكبائر والصغائر تحت مشيئته**تعالى** ما لم تكن كفرًا.

٣ – أفادت الآية أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الناس يتفاضلون فيه، ووجه ذلك: أن الإيمان يزداد بزيادة العمل كمَّاً أو كيفاً أو نوعًا، وهنا قسَّم الله المعاصي إلى قسمين، وكلما كان الإنسان في معصية أشد كان إيمانه أنقص وأقل، فيؤخذ منه أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا هو الذي عليه جمهور أهل السنة.

٤ – بينت الآية مدى سعة رحمة الله **تعالى** بعباده المؤمنين، وذلك بتكفير صغائر ذنوبهم إذا اجتنبوا كبائرها، وإلا لو جازى **سبحانه** الناس بالعدل، لعاقبهم على الصغائر وعلى الكبائر كل منها بحسبه، فالكبائر عقوبتها شديدة والصغائر دون ذلك، ولكن من فضله **تعالى** جعل اجتناب الكبائر مكفر للصغائر، وهذا من أثر سبق رحمته **سبحانه وتعالى** على غضبه، كما جاء في الحديث القدسي: (إن رحمتي سبقت غضبي).[(١)]

٥ – هدت الآية إلى جانب عظيم من فضل الله **تعالى** على عباده الموحدين، فقد ذكرت أن من كَفَّر الله عنه السيئات فهو من أهل الجنة لقوله تعالى: {وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}، وجاء عن النبي **صلى الله عليه وسلم** أنَّه يشفع لأصحاب الكبائر فيدخلون الجنة، ولا يخلدون في النار، فيؤخذ من الآية والحديث أنَّ المسلمين جميعاً في الجنة، وهذا أعظم الفضل.

ويؤيد هذا ما ذكره القرطبي عن أبي سعيد بن الأعرابي قال: "سمعت أبا داود السجستاني يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: المسلمون كلهم في

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٧٠٠ حديث رقم ٦٩٨٦باب: {وكان عرشه على الماء} سورة هود ١١ من الآية ٧

الجنة، فقلت له: وكيف؟ قال: يقول الله **تعالى** : { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} يعني الجنة.

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم** : (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [١]، فإذا كان الله **تعالى** يغفر ما دون الكبائر والنبي **صلى الله عليه وسلم** يشفع في الكبائر فأي ذنب يبقى على المسلمين. [٢]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: أبو يعلي في معجمه صفحة ١٧٢ رقم ١٩٨ تحقيق: إرشاد الحق الأثري الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد الطبعة: الأولى،١٤٠٧ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١٠٦ رقم ٥٩٤٢ تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين - القاهرة عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، و وذكره الذهبي في كتاب إثبات الشفاعة صفحة ٥٢ رقم ٤٥ ، وقال: "هذا حديث حسن، فيه نكارة، تفرد به حرب، وقد وثقه ابن معين ولينه غيره". المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد الناشر: أضواء السلف الطبعة: الأولى١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) الجامع لأحكام القرآن٥/ ١٥٨، وأيسر التفاسير للجزائري١/ ٤٦٨

المطلب الثالث

التخلي عن الظلم، والتحلي بالفضل

قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا} (١)

يبين الله **سبحانه وتعالى** في هذه الآية الكريمة حكمه بين العباد جميعاً في جميع أمورهم وأحوالهم، وهو أنَّه **سبحانه** لا يظلمهم ولا ينقص من أعمالهم شيئاً، بل يوفّون حسابهم عليها، فإن كانت سيئة حوسبوا بقدرها، وإن كانت حسنة جوزوا بأضعافها، وهذا من فضله ورحمته بهم، السيئة سيئة واحدة، والحسنة حسنات.

والآية متعلقة كما ذكر المفسرون بقوله **تعالى** فيما قبلها:{وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا}(٢)، فبعدما أمر في الآيات السابقة بعبادته وحده، والإحسان إلى من ذَكَر من عباده، وأمر بالإنفاق في سبيله، وذم البخل والكبر والفخر، وكتمان العلم، بَيَّن في هذه الآية أنَّه **سبحانه وتعالى** لا يبخس أحدًا من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه، من ثواب نفقته في الدنيا، ولا من أجرها يوم القيامة {مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ}، ولكنه يجازيه به ويُثيبه عليه.

وإذا كان الأمر كذلك فماذا كان يضير هؤلاء – الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، وكذلك الذين يكتمون ما آتاهم الله من فضله، وأيضاً الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر – لو آمنوا وامتثلوا

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ٤٠
(٢) السورة السابقة ٤ الآية ٣٩

المأمورات التي أمرهم الله **تعالى** بها واجتنبوا المنهيات التي نهاهم عنها.(١)

وقد وعد الله **تعالى** عباده في هذه الآية ثلاثة وعود:

الأول: أنَّه سبحانه لا يظلمهم مثقال ذرة.

والظلم كما ذكر الراغب هو: "وضع الشيء في غير موضعه، المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه".(٢)

والمثقال(٣): "مقدار الشيء في الثِّقَل، وهو مِفْعَال من الثِقل، يقال: هذا على مثقال هذا، أي وزن هذا".(٤)

والذرة في الأصل: أصغر النمل (٥)، وقيل النملة الحميراء الصغيرة. (٦)

وهذا المعنى يؤيده ما روي عن ابن مسعود **رضى الله عنه** أنَّه قرأ (إِنَّ اللَّهَ

---

(١) جامع البيان ٨/ ٣٥٩، والكشف والبيان ١٠/ ٣١٨ ، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، والتفسير القرآني للقرآن٣/ ٧٩٢، وأيسر التفاسير ١/ ٤٨٠

(٢) قوله: "وضع الشيء في غير موضعه" هذا أصل الظلم عند أهل اللّغة وكثير من العلماء كما ذكر الراغب نفسه، وبقية التعريف زيادة للراغب وحده، وذكر الزبيدي عن بعض شيوخه أن الظلم في أصل اللغة: النقص. المفردات في غريب القرآن صفحة٥٣٧، والصحاح ٥/ ١٩٧٧، ومختار الصحاح صفحة ١٩٧، ولسان العرب١٢/ ٣٧٣، وتاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ٣٣/٣٣ تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت .

(٣) الثقل: واحد الأثقال، مثل حمل وأحمال، ومنه قولهم: أعطه ثقله، أي وزنه ومثقال الشئ: ميزانه من مثله. الصحاح ٤/ ١٦٤٧، ومختار الصحاح صفحة ٤٩، ولسان العرب١١/ ٨٦

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة صفحة ١٢٧ المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٥٢، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤، وزاد المسير ١/ ٤٠٦

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة صفحة ١٢٧، والصحاح ٢/ ٦٦٣، ولسان العرب ٤/ ٣٠٤

(٦) قال ثعلب: إن مائة منها وزن حبة من شعير فكأنها جزء من مائة. لسان العرب ٤/ ٣٠٤، وأخرج هذا القول الطبري في جامع البيان عن ابن عباس رضى الله عنه ٨/ ٣٥٩، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ١/ ٣٠٣، والثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٣١٨

لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نَمْلَةٍ). [١]

وتطلق الذرة في اللغة أيضاً على: "ما يُرى من أجزاء الهباء في شعاع الشمس الداخل في النافذة". [٢]

وهذا المعنى هو: " الأنسبُ بمقام المبالغةِ فإن قِلَّته في الثقل أظهرُ من قلة النملة فيه". [٣]

وقد ذكر المفسرون فيها أقوالاً أخرى جميعها تدل على أنَّها عبارة عن أقل الأشياء وأصغرها. [٤]

والله **تعالى** منزه عن الظلم لأنه من النقص الذي يتنزه عنه فهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم، وكل ما في الكون ملكه وتحت تصرفه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، لا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون، ولكنَّ المراد هنا أنَّه لا يقع منه شيئاً مما يفعله الظالمون من الزيادة في العقوبة أو النقص من الثواب شيئاً.

يقول أبو منصور الماتريدي: " مَنْ ظَلَم آخر في الشاهد إنما يظلم لإحدى خلتين: إما لجهل بالعدل والحق، وإما لحاجة تمسه يدفع ذلك عن نفسه، فيحمله على الظلم، فاللَّه **سبحانه وتعالى** غني بذاته، عالم، لم يزل يتعالى عن أن تمسه حاجة؛ أو يخفى عليه شيء" هـ. [٥]

---

(١) القراءة شاذة، وهي موجودة في: مختصر في شواذ القرآن لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه صفحة ٣٣ طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة، وشواذ القراءات لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني صفحة ١٣٥ تحقيق الدكتور شمران العجلي طبعة مؤسسة البلاغ – بيروت لبنان، والمصاحف لأبي داود السجستاني ، مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . صفحة ١٦٦ المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة ـ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٢) لسان العرب ٤/ ٣٠٤
(٣) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٧
(٤) الكشف والبيان١٠/ ٣١٨، والكشاف١/ ٥١١، وزاد المسير١/ ٤٠٦، والجامع لأحكام القرآن٥/ ١٩٥،والبحر المحيط ٣/ ٦٤١
(٥) تفسير الماتريدي ٣/ ١٨٤

وقال القاضي محمد ثناء الله: " والظلم عبارة عن وضع الشيء في غير محلّه، وفعل شيء لا يجوز فعله، وذلك غير متصور من الله تعالى، فإنه تعالى خالق الأشياء مالك الملك، لو عذب العالمين من غير ذنب لا يكون ظلماً، لكن المراد هاهنا انه لا يفعل فعلاً لو صدر ذلك الفعل من غيره عُدَّ ظلماً يعنى أنه تعالى لا ينقص من أجور الطاعات ولا يزيد في عقاب المعاصي. هـ (١)

وقوله تعالى {مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} ليس قصراً لنفي الظلم على ما يزن الذرة فقط، بل هو مثلٌ ضربه الله **تعالى** بما تعارف عليه الناس لنفي الظلم عنه البتة، فإذا كان لا يظلم وزن ذرة، وهي أقل الأشياء، فنفي ما كان أكبر أو أصغر منها من باب أولى.

يقول الثعلبي: " وهذا مثلٌ، يقول: إن الله لا يظلم مثقال ذرة مثلًا، فكيف بأكثر منها؟ ! والمراد من الكلام: أنَّه لا يظلم كثيرًا، ولا قليلًا؛ لأن الظلم بمثقال ذرة لا ينتفع به ظالم، ولا يتبين ضرره في مظلوم" هـ.(٢)

وقال النيسابوري: " وأراد نفي الظلم رأساً إلا أنه أخرج الكلام على أصغر المتعارف" هـ.(٣)

وعبر عن الوزن بلفظ المثقال بدلاً من المقدار مثلاً، للدلالة على الكثرة والعظم، فالعمل الحاصل من العبد وإن كان قليلاً فهو باعتبار جزائه كثير.

---

(١) التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله ٢ق ١٠٧/٢، وبحر العلوم١/ ٣٠٣، وزاد المسير ١/ ٤٠٦، وتفسير المنار ٥/ ٨٥

(٢) الكشف والبيان١٠/ ٣١٨، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤، والإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية لنجم الدين الطوفي صفحة ١٦٧ تحقيق: محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان٢/ ٤١٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور٥/ ٢٨١

يقول الراغب: " واستُعمل لفظ المثقال تنبيهًا أن ذلك يعظم جزاؤه وإن صَغُر قدره" هـ.(١)

والظلم المنفي عن الله **تعالى** في الآية عام يشمل المؤمن والكافر، وأنَّه **سبحانه وتعالى** يجازي كل منهما على عمله بالخير خيراً وبالإساءة عقاباً، ولا ينقص واحداً منهما شيئاً من عمله.

ويدل على إرادة العموم قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ }(٢)

وأيضاً يشير إلى العموم قوله {لَا يَظْلِمُ } فإنَّه على إضمار محذوف وقع مفعولاً أولاً ليظلم، والمفعول الثاني هو قوله:

{مِثْقَالَ} والتقدير: (إن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة). (٣)

وبناءً على هذا العموم اختلف المفسرون في أعمال الخير التي تقع من الكافر إذا قصد بها وجه الله تعالى وهو على كفره وضلاله، مع ورود بعض النصوص التي تفيد أنه لا ينتفع بها في الآخرة نحو قوله**تعالى** : {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا} (٤)، وقوله: {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا }(٥) .

فذهب الجمهور منهم إلى أنَّ الله **تعالى** لا يغفر للمشرك الشرك بحال، ولكن يعطي له ثواب الخير في الدنيا ولا شيء له في الآخرة، أمَّا المسلم فيؤتيه الله **سبحانه وتعالى** ثواب الخير في الدنيا والآخرة، واستدلوا على ذلك بقوله **صلى الله عليه وسلم** : (إن الله لَا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى

---

(١) تفسير الراغب ٣/ ١٢٤٠، وروح المعاني٣/ ٣١

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ الآيتان٧،٨

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٣، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، والدر المصون ٣/ ٦٨٠

(٤) سورة الكهف ١٨ الآية ١٠٥

(٥) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٢٣

بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى بها إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها) [(١)].[(٢)]

وعلق أبو زهرة على هذا الرأي بقوله: "وهذا نظر حسن يفسره ما نراه للكافرين من نعم مادية في الدنيا تجري عليهم، فلعلها ثمرة لما عملوا من بعض الخيرات في التعاون الإنساني، وثمرة لاتخاذهم أسباب الرزق على وجه كامل" هـ.[(٣)]

ويرى الأستاذ الإمام محمد عبده: أنَّ الكافر إذا عمل خيراً وقصد به وجه الله أو سبيل الخير المجردة، لَا يضيعه الله **تعالى** عليه يوم القيامة، ولكن ينقص به من سيئاته، غير الشرك والكفر فإن هذين لَا يكفرهما شيء.

واستدل على ذلك بما ورد في السنة من التخفيف عن أبي طالب لكفالته النبي **صلى الله عليه وسلم**، وحمايته له[(٤)]، وأيضاً بما ورد من التخفيف عن أبي لهب لعتقه ثُوَيْبَة حين بشرت بمولد النبي **صلى الله عليه وسلم** [(٥)]،

(١) صحيح مسلم باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ٢١٦٢/٤ حديث رقم ٢٨٠٨

(٢) جامع البيان للطبري ٨/ ٣٥٩، والكشف والبيان ١٠/ ٣١٨، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤، ومعالم التنزيل٢/ ٢١٤

(٣) زهرة التفاسير ١٦٨٤/٤

(٤) أخرج البخاري عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار). صحيح البخاري باب: قصة أبي طالب ٣/ ١٤٠٨ حديث رقم ٣٦٧٠

(٥) أخرج البخاري عن عروة رضى الله عنه قال: "وثويبة مولاة لأبى لهب، كان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ (يعني على أسوأ حالة)، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيرا، غير أني سُقِيتُ في هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ. صحيح البخاري باب:{وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم}سورة النساء٤ من الآية ٢٣، باب ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ١٩٦١/٩ حديث رقم ٤٨١٣

وأبو لهب هذا هو الذي قال الله تعالى فيه وفي امرأته: {تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ}(١) إلى آخر السورة.

يقول صاحب المنار: "فالمعنى الصحيح إذن للآيات هو أن الله لا يقيم وزناً للمشرك في مقابلة شركه، بمعنى أنه لا يقابل الشرك عمل صالح فيمحوه، بل الأعمال الصالحة بإزاء الشرك هباءً، ولكن المشرك العاصي أشد عذاباً من المشرك المحسن، ولا يعقل أن يكون المحسن والمسيء عنده تعالى سواء، فإن هذا من الظلم المنفي بلا شك" هـ.(٢)

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الآية عامة، ولكنها في المتخاصمين، والمعنى: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم، بل يأخذ له ومنه، ولا يظلم مثقال ذرة تبقى للخصم، بل يثيبه عليها ويُضَعِّفها له.

واحتجوا لهذا بما روي عن ابن مسعود**رضى الله عنه** أنه قال: "يُؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة، فينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب للناس، فينادي: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فيقول: فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟ قال: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله، ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة، ثم قرأ علينا: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة} قال: ادخل الجنة، وإن كان

---

(١) سورة المسد ١١١ الآية ١

(٢) تفسير المنار٥/ ٨٥، وعقب عليه صاحب زهرة التفاسير بقوله: " ونحن لا نرى في ذلك خروجاً عن حكم الإسلام، وهو معقول في ذاته يتفق مع عموم النصوص، وإن كنا نميل إلى الأول". ١٦٨٤/٤ ، وتفسير الإيجي ٣٥٦/١

عبدا شقياً قال الملك: فنيت حسناته، وبقي له طالبون كثير، قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صُكُّوا له صكاً من النار". [١]

ثمَّ بين الله **سبحانه وتعالى** أنّه عفوٌّ غفور رحيم بعباده، لا يكتفي بمنع الظلم عنهم، ولكنه يضاعف في حسناتهم زيادة على استحقاقهم، وهذا هو الوعد الثاني الذي وعدهم به في هذه الآية الكريمة.

يقول البقاعي: "ولما ذكر التخلي من الظلم، أتبعه التحلي بالفضل فقال عاطفاً على ما تقديره: فإن تك الذرة سيئة لم يزد عليها، ولا يجزي بها إلا مثلها: { وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا}.ه [٢]

والحسنةُ [٣] يعبّر بها: " عن كلّ ما يُسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادّها". [٤]

و{ تَكُ} أصلها (تكن) [٥]، ومعناها: تحدث أو تقع، ولا تحتاج إلى خبر لأنَّها تامة. [١]

---

(١) الأثر صحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، وقال عنه: "والحديث أثر موقوف على ابن مسعود رضى الله عنه ، ولكني أراه من المرفوع حكمًا، فإن ما ذكره مما لا يعرف بالرأي، وما كان ليقول هذا من عند نفسه، وليس هو ممن ينقل عن أهل الكتاب ولا يقبل الإسرائيليات". جامع البيان للطبري ٨/ ٣٦٣ رقم ٩٥٠٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٥٤/٣ رقم ٥٣٣١، والكشف والبيان ١٠/ ٣١٨، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٥/ ٢٨١، تفسير المنار ٥/ ٨٥، زهرة التفاسير ٤/ ١٦٨٤

(٣) (الْحُسْنُ) ضد القبح، وَ(حَسَّنَ) الشيء تَحْسِينًا زينه، وأحسن إليه وبه وهو يحسن الشيء أي يعلمه، ويستحسنه أي يعده (حسنا)، و(الْحَسَنَةُ) ضد السيئة، و(الْمَحَاسِنُ) ضد المساوئ، و(الْحُسْنَى) ضد السوءى. الصحاح ٢٠٩٩/٥ ، ومختار الصحاح صفحة ٧٣

(٤) المفردات في غريب القرآن صفحة ٢٣٥

(٥) وقد حذفت منها النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وأصلها: "من «كان يكون» وأصله «تكون» سقطت الضمة للجزم، وسقطت الواو لسكونها وسكون النون فصار «تكن» ثم حذفت النون أيضاً لأنها ساكنة، وهي تشبه حروف اللين، وحروف اللين إذا وقعت طرفاً سقطت للجزم، نحو: لم أدر، أي لا أدري وقد جاء القرآن بالحذف والإثبات، أما الحذف

وعلى هذا المعنى حملت قراءة {حسنةٌ} بالرفع[٢]، أمَّا على القراءة بنصب {حَسَنَةً} فتكون {تك} ناقصة، وحسنة خبرها واسمها ضمير مقدر يعود على قوله {مثقال ذرة}، والتتقدير: وإن يكن مثقال ذرة.

يقول ابن زنجلة: " قرأ نافع وابن كثير { وَإِن تَكُ حَسَنَةً} بالرفع على أنها اسم كان ولا خبر لها وهي ها هنا في مذهب التمام، والمعنى وإن تحدث حسنة أو تقع حسنة يضاعفها كما قال: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ }[٣] أي وقع ذو عسرة.

وقرأ الباقون {وإن تك حسنةً} بالنصب خبر كان والاسم مضمر ومعناه: إن تك زنة الذرة حسنة، أو المعنى: إن تك فعلته حسنة يضاعفها" هـ.[٤]

وللمبالغة في تضعيف الحسنة مهما قلَّ وزنها: "أتى بالفعل (تك) مؤنثاً مضافاً إلى مؤنث تحقيراً له، ليفهم تضعيفه **سبحانه وتعالى** ما فوقه من باب الأولى أي: وإن صغرت".[٥]

وقيل جيء به مؤنثاً: "مراعاة للفظ ذرة الذي أضيف إليه لفظ مثقال، لأن لفظ مثقال مبهم لا يميزه إلا لفظ ذرة فكان كالمستغنى عنه، أو حملاً على

فههنا، وأما الإثبات، فكقوله ﷻ:{إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا}" سورة النساء ٤ من الآية ١٣٥. معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٢، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٨٠، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، والدر المصون ٣/ ٦٨٠

(١) قال الجوهري: "(كانَ) إذا جعلته عبارةً عمَّا مضى من الزمان احتاج إلى خبر، لأنَّه دلَّ على الزمان فقط تقول: كان زيد عالماً، وإذا جعلته عبارةً عن حدوث الشئ ووقوعه استغنى عن الخبر، لأنَّه دلَّ على معنًى وزمانٍ. تقول كانَ الأمرُ، وأنا أعرفه مذْ كانَ، أي مذْ خُلِقَ، وقد تقع زائدة للتوكيد، كقولك زيدٌ كانَ منطلقاً، ومعناه زيدٌ منطلقٌ". الصحاح ٦/ ٢١٨٩، ومختار الصحاح صفحة ٢٧٥.

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ} بالرفع. وقرأ الباقون {حَسَنَةً} بالنصب المبسوط صفحة١٧٩، والنشر ٢٤٩/٢

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٨٠

(٤) حجة القراءات صفحة ٢٠٣، والحجة للقراء السبعة ٣/ ١٦٠

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٥/ ٢٨١، والمعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة المؤلف: أحمد عمر أبو شوفة الناشر: دار الكتب الوطنية - ليبيا عام النشر: ٢٠٠٣

المعنى، لأنه بمعنى: وإن تك زنة ذرة حسنة يضاعفها".[١]

والمراد بمضاعفة[٢] الحسنة أن يزيد عليها مثلها، أو عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله من الزيادة وهو المراد هنا، وعلى هذا المعنى تحمل قراءتا التخفيف والتشديد. [٣]

وعبَّر عن زيادة الثواب بتضعيف الحسنة مع أنَّ تضعيف العبادة نفسها بأن تجعل عبادتين مثلاً غير معقول، لشدة التلازم بينهما.

يقول أبو السعود: "{يضاعفها} أي يضاعفْ ثوابَها جعل ذلك مضاعفةً لنفس الحسَنةِ تنبيهاً على كمال الاتصالِ بينهما كأنهما شيء واحد" هـ.[٤]

والتضعيف للثواب يكون بحسب مقداره كمَّاً وكيفاً، وليس بحسب مدته لأنه غير متناهٍ، فيستحيل تضعيفه، وهذا ما أشار إليه الفخر الرازي حيث قال: "

---

(١) الكشاف ١/ ٥١١، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ٢٦٦/٢ الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، والدر المصون ٣/ ٦٨٠، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٧، وروح المعاني٣/ ٣١، والتحرير والتنوير٥/ ٥٥

(٢) ذكر أبو عبيدة وابن قتيبة وتبعهم الطبري أنَّ المضاعفة أن يؤتي مثلها مرات، والتضعيف يكون مرة واحدة، وهذا مخالف لما عليه أهل اللغة من أنَّهما بمعنى واحد.
يقول الخليل: "أضعفت الشيء إضعافاً، وضاعفته مضاعفة، وضعّفته تضعيفاً، وهو إذا زاد على أصله فجعله مثلين أو أكثر".
كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢٨٢/١ المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٧/١ المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ، وغريب القرآن لابن قتيبة صفحة١١٢، وجامع البيان للطبري ٨/ ٣٥٩، والصحاح ٤/ ١٣٩٠، ومختار الصحاح ١٨٤

(٣) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب{ يُضَعِّفْها}بحذف الألف بعد الضاد، وتشديد العين، وقرأ الباقون {يُضاعِفْها}بالألف، وتخفيف العين. المبسوط في القراءات العشر ١٤٨ ، والنشر ٢/ ٢٢٨، والإتحاف ٢٤١، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لأبي حفص سراج الدين النشار ٢٨٢/١ شرح وتحقيق: أ. د. أحمد عيسى المعصراوي، الناشر: دار النوادر للطباعة والنشر - الكويت

(٤) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٧، وروح المعاني ٣/ ٣١

واعلم أن المراد من هذه المضاعفة ليس هو المضاعفة في المدة، لأن مدة الثواب غير متناهية، وتضعيف غير المتناهي محال، بل المراد أنه تعالى يضعفه بحسب المقدار، مثلا يستحق على طاعته عشرة أجزاء من الثواب، فيجعله عشرين جزءاً، أو ثلاثين جزءاً، أو أزيد".(١)

واختلف المفسرون فيمن تضاعف لهم الحسنة مرات عديدة؟ فخصَّه بعضهم بالمهاجرين، وقالوا يدل عليه ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: {مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا}(٢)، قال: فقال رجل: فما للمهاجرين؟ قال، ما هو أعظم من ذلك: { وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}.(٣)

وجعله بعضهم عاماً لجميع المؤمنين واستدلوا عليه أحاديث كثيرة منها: ما روي عن أبي عثمان النهدي **رضى الله عنه** قال: لقيت أبا هريرة**رضى الله عنه** فقلت له: إنه بلغني أنك تقول: إن الحسنة لتُضَاعف ألفَ ألف حسنة! قال: وما أعجبك من ذلك؟ فوالله لقد

سمعت النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: (إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة!).(٤)

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠/ ٨٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٤١٤، وروح المعاني٣/ ٣١

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٦٠

(٣) المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني ١٦٥/١٣رقم ١٣٨٥٧ تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م، وجامع البيان ٨/ ٣٥٩، ومعالم التنزيل٢/ ٢١٤، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٣/٧ رقم ١١٠١٠

(٤) مسند أحمد ٣٢٧/١٣ رقم ٧٩٤٥، وقال شعيب الأرناؤوط (محقق الكتاب): إسناده ضعيف، وكتاب التوبة لابن أبي الدنيا ٢٧/٥٢ تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم دار النشر: مكتبة القرآن، مصر، وجامع البيان ٨/ ٣٥٩، ومعالم التنزيل٢/ ٢١٤.

ومنها ما روي عن أبي هريرة؛ إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:(لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قَلُوصَهُ [١]، حتى تكون مثل الجبل، أو أعظم). [٢]

ويدل عليه أيضاً حديث ابن مسعود السابق وفيه: (فإن فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة).

واختار الطبري أن تكون المضاعفة أكثر من عشرة للمهاجرين خاصة، واحتج بأن الله**تعالى** قد اخبر أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها، فلا يجوز أن يكون في خبره اختلاف، ولكن ذلك للمهاجرين وهذا لغيرهم، ورجَّح أبو حيان أنها عامة في كل أحد، وأنَّ تخصيصها بالمهاجرين غير ظاهر. [٣]

ثم ختم الله **تعالى** الآية الكريمة بقوله :{ وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً}، وهذا هو الوعد الثالث الذي وعده عباده المؤمنين، وفيه بيان سعة فضله **سبحانه وتعالى**: "فهو لا يكتفي بأن يضاعف للمحسن حسنته أضعافاً عديدة، فيكون عطاؤه في مقابلة الحسنات فقط، بل يزيد المحسنين من فضله ويعطيهم من عنده لا في مقابلة حسناتهم عطاء كبيراً". [٤]

و{لدن}: ظرف مكان بمعنى (عند)، وهي كما قال سيبويه: "اسم للموضع الذي هو أول الغاية". [٥]

---

(١) القلوص: من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء. مختار الصحاح صفحة ٢٥٩

(٢) صحيح مسلم ٢/٧٠٢ رقم ١٠١٤

(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٣٥٩، والهداية الى بلوغ النهاية ٢/ ١٣٢٨، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٣، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١

(٤) تفسير المنار٥/ ٨٥، وتفسير المراغي٥/ ٤١، وزهرة التفاسير٤/ ١٦٨٤

(٥) الكتاب لسيبويه٤/٢٣٣ المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، والصحاح ٦/ ٢١٩٤، ومختار الصحاح ٢٨١، ولسان العرب١٣/ ٣٨٤

والفرق بينهما من وجهين: الأول: أن لدن أخص من عند وأقوى في الدلالة على القرب، يقول الرجل: عندي مال وإن كان المال ببلد آخر، ولا يقول: لديّ مال ولا لدني إلّا إذا كان بحضرته.

والثاني: أنَّ عند تكون ظرفاً للأعيان والمعاني، تقول هذا القول عندي صواب وعند فلان علم به، ولا يقال ذلك في لدن. (١)

وأضاف هذا العطاء إلى ذاته **سبحانه وتعالى** فقال {من لدنه} أي من عنده للتشريف والتعظيم من شأنَّه، فهو على سبيل التفضل منه **تعالى** ، زائداً على ما وعده في مقابلة العمل.

قال الراغب: " وفائدة قوله: (مِنْ لَدُنْهُ) أن كلَّ ما أريد تعظيمه ينسب إلى الله فيقال: { مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ } ، (٢) ، و{ نَاقَةُ ٱللَّهِ } هـ (٣) . (٤)

وتسمية هذا العطاء أجراً وإن كان زائداً، ولا مقابل له من الأعمال، لكونه تابع للأجر الحقيقي ولا يُستحق إلا به، وهذا من باب المجاز المرسل(٥)، وعلاقته المجاورة. (٦)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٣/٢، والمفردات في غريب القرآن صفحة٧٣٩، ولسان العرب ١٣/ ٣٨٤، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام صفحة ٢٠٨ المحقق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥

(٢) وردت في آيات كثيرة أولها: سورة البقرة ٢ من الآية ٨٩

(٣) سورة الأعراف ٧ من الآية ٧٣

(٤) تفسير الراغب ٣/ ١٢٤٠، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٧، ونظم الدرر ٥/ ٢٨١، وفتح البيان ٣/ ١٢٠، والتحرير والتنوير٥/ ٥٥

(٥) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ غير المشابهة مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعي . بغية الإيضاح ٤٦٢/٣ ، جواهر البلاغة ٢٥٢/١،٢٥٣

(٦) المجاورة: هي كون الشيء مجاوراً لشيء آخر نحو: كلمت الجدار والعامود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان. الطراز لأسرار البلاغة ليحيى العلويّ ٤١/١ الناشر: المكتبة العصرية ببيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ وجواهر البلاغة صفحة ٢٥٤ .

يقول الزمخشري: " وسماه {أَجْراً} لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته" هـ.[١]

وفائدة هذا المجاز كما أشار صاحب المنار هي: "الإيذان بأن هذا العطاء العظيم لا يكون لغير المحسنين، فهو علاوة على أجور أعمالهم، والعلاوة على الشيء تقتضي وجود ذلك الشيء، فلا مطمع فيها للمسيئين الذين غلبت سيئاتهم المفردة على حسناتهم المضاعفة، فما قولك بالمشركين الذين طمست حسناتهم في ظلمة شركهم والعياذ بالله تعالى!. [٢]

وتباينت أقوال المفسرين في المراد بهذا الأجر العظيم، فالكثيرون منهم أنَّه من جنس الثواب المضاعف لهم من نعيم الجنة، إلا أنّه لا يُحد ولا يُعد، ولا يعرف مقداره إلا الله وحده، وهو **سبحانه وتعالى** إذا امتن على عبد بلغ به الغاية. [٣]

ورجح الفخر الرازي أنَّ المراد به النعيم الروحاني من الفوز برضوان الله **سبحانه** ، والسرور والتلذذ برويته **تعالى** ، فقال: "والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعد بها في الجنة، وأما هذا الأجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه، فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية، وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة.

وإنما خص هذا النوع بقوله: {من لدنه} لأن هذا النوع من الغبطة والسعادة والبهجة والكمال، لا ينال بالأعمال الجسدانية، بل إنما ينال بما يودع الله في جوهر النفس القدسية من الإشراق والصفاء والنور، وبالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادة الجسمانية، وهذا الأجر العظيم إشارة إلى السعادة الروحانية. هـ [٤]

---

(١) تفسير الكشاف ١/ ٥١١، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٧
(٢) تفسير المنار٥/ ٨٥، وروح المعاني/ ٣١
(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٣٥٩، وبحر العلوم١/ ٣٠٣، والتفسير البسيط ٦/ ٥١٤، والكشف والبيان ١٠/ ٣١٨، والتيسير في التفسير ٥/ ٢٦، و المحرر الوجيز ٥٣/٢، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، وزهرة التفاسير٤/ ١٦٨٤
(٤) مفاتيح الغيب ١٠/ ٨٠، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٢/ ٤١٤، ونظم الدرر ٥/ ٢٨١، وروح المعاني٣/ ٣١

وقد أظهرت هذه الوعود الثلاثة التي ذكرتها الآية، جوانب عديدة تبين من خلالها مدى قدرة الله تعالى المطلقة، وإرادته النافذة، وعدله التام مع العباد، ورحمته بهم، وسعة فضله عليهم، وسأجمل هذه الجوانب في النقاط الآتية:

١ – أفادت الآية أن هناك حقيقة ثابتة في نفسها وهي الظلم، وأن هذا لا يقع من الله تعالى؛ لأنه من النقص الذي يتنزه عنه وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم. (١)

٢ – بينت الآية أنّ نفي الظلم عنه **سبحانه وتعالى** عام يشمل المؤمن والكافر، وأن نقص الثواب وزيادة العقاب لا يقعان منه تعالى أصلاً، وفي ذلك حث على الإيمان والإنفاق، بل إرشاد إلى أن كل ما أمر الله **تعالى** به مما ينبغي أن يُفعل، وكل ما نهي عنه مما ينبغي أن يُجتنب.

٣ – أشارت الآية أيضاً الى أنَّ: "ما اعدّه الله تعالى للكافرين من العذاب المهين عدل ليس بظلم، بل ترك تعذيبهم بعد اتلافهم حقوق الله تعالى من التوحيد والعبادة وحقوق الوالدين والأقربين وغيرهم كانّه ظلم بالنسبة الى ما منعوا من الحقوق، ويمكن ان يقال انهم استحقوا العذاب بحيث لو منعوا عن التعذيب كانوا كأنهم ظلموا". (٢)

٤ – ذكرت الآية أنه تعالى لواسع فضله مع كونه لا ينقص أحداً من أجر عمله مثقال ذرة يزيد للمحسن في حسناته، فالسيئات جزاؤها بقدرها، والحسنات يضاعف الله تعالى جزاءها عشرة أضعاف أو أضعافا كثيرة، بل إنه تعالى لا

---

(١) وهذا على مذهب أهل السنة، واستدلت المعتزلة بالآية على أن الظلم ممكن في حدّ ذاته إلا أنه تعالى لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة كما قال الزمخشري، لأنه سبحانه مدح نفسه بتركه ولا مدح بترك القبيح ما لم يكن عن قدرة، كالعنين الذي لا يمدح بترك الزنا، واعترض عليه بقوله تعالى: {لَا تَأۡخُذُهُ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ} سورة البقرة ٢من الآية ٢٥٥ ، فإنه ذكر في معرض المدح مع أن النوم غير ممكن. الكشاف ١/ ٥١١، والبحر المحيط ٣/ ٦٤١، وروح المعاني٣/ ٣١

(٢) التفسير المظهري ٢ / ١٠٧

يكتفى بجزاء المحسنين على إحسانهم فحسب، وإنَّما يزيدهم من فضله ويعطيهم من لدنه عطاء كبيراً.

٥ – استُدِل بالآية على دخول كل مؤمن الجنة [١]، ويؤيده ما روي عن أبي سعيد الخدري**رضى الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: يقول الله **تعالى** للملائكة: (اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه)، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها}. [٢]

---

(١) وهذا مذهب أهل السنة، وفيه هذا رد على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: من ارتكب كبيرة يخلد في النار ولو معه حسنات كثيرة، فأخبر الله ﷻ: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) وهي الجنة، وسيأتي تفصيل لهذه القضية في المسألة التالية إن شاء الله تعالى.
تفسير الماتريدي ٣/ ١٨٤، والتيسير في التفسير ٥/ ٢٦، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٨٠، والإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي صفحة ٩٢ تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٧٠٦ حديث رقم ٧٠٠١ ، باب: قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة} سورة القيامة ٧٥ الآيتان ٢٢،٢٣

المطلب الرابع

ما يُغفر من الذنوب وما لا يُغفر

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا }.(١)

في هذه الآية الكريمة ردٌّ من الله **تعالى** على أهل الكتاب وكل طوائف المشركين والكفار، الذي يحلمون بمغفرته **سبحانه وتعالى** دون أن يؤمنوا، بالرغم مما يفعلون ويرتكبون، فبعد أن هددهم الله **سبحانه** في الآيات السابقة(٢) على الكفر وتوعدهم عليه، بين في هذه الآية أنَّ هذا الوعيد إنما هو لجريمة الشرك والكفر خاصة، أمَّا سائر الذنوب سواه فقد يغفرها ويتجاوز عن زلاتها، وفي هذا إزالة خوفهم من سوء الكبائر السابقة إذا آمنوا.(٣)

قال أبو السعود: "كلامٌ مستأنفٌ مَسوقٌ لتقرير ما قبله من الوعيد، وتأكيدِ وجوبِ الامتثالِ بالأمر بالإيمان ببيان استحالةِ المغفرةِ بدونه، فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمَعون في المغفرة كما في قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ }، أي على التحريف { وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا }" هـ(٤).(٥)

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ٤٨

(٢) في قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا } سورة النساء ٤ من الآية ٤٧

(٣) مفاتيح الغيب ١٠/ ٩٧، وروح المعاني ٣/ ٥٠، وتفسير المراغي ٥/ ٥٧، والتفسير الواضح ١/ ٣٨٢، وزهرة التفاسير ٤/ ١٧٠٨، والتفسير الوسيط المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي ٣٢٨/١ الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(٤) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٦٩

(٥) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح المعاني ٣/ ٥٠

وقد بدأ الله **سبحانه وتعالى** الآية ببيان ما لا يغفره[١] من الذنوب بحال، فذكر أنَّه الشرك فقط إذا مات الإنسان عليه بلا توبة وإيمان، وقد أكد هذا الحكم بـ (إنَّ)، لئلا يرجو المشرك غفراناً أيا كان نوع شركه إلا أن يقلع عنه.

يقول الراغب: "معنى {أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}: أن يديم الإنسان الشرك، فلا خلاف أن من لم يُدم ذلك بل أقلع عنه بالتوبة على الوجه الذي يجب يُغفر له" هـ.[٢]

والشرك[٣] يطلق ويراد به: "اعتقاد الإنسان أنَّ لله **سبحانه وتعالى** ندًّا[٤] في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وهو المسمى بالشرك الأكبر وبالشرك العظيم". [٥]

---

(١) المغفرة: الستر للذنب مع التجاوز عنه، والغفور الغفار، جل ثناؤه، من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير٣/٣٧٣ تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ولسان العرب٥/ ٢٥

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني٣/ ١٢٦٥

(٣) الشرك في اللغة معناه: المخالطة والمقارنة.
قال الخليل: الشِّرْكُ: ظُلْمٌ عظيمٌ، والشِّرْكةُ: مخالطةُ الشَّريكين، واشتركا بمعنى تشاركا، وجمع شريك: شركاء وأشراك.
وقال الراغب: "الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، عيناً كان ذلك الشيء أو معنى". كتاب العين للخليل بن أحمد ٥/٢٩٣ المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، والمفردات في غريب القرآن صفحة ٤٥٢

(٤) الند: بالكسر: المثل والنظير والجمع أنداد. مختار الصحاح صفحة ٣٠٧، ولسان العرب ٣/ ٤٢٠

(٥) وهو أحد نوعي الشرك، والنوع الثاني: الشرك الأصغر وهو: "كل وسيلة يتوسل بها ويتطرق بها إلى الشرك الأكبر بشرط أن لا يبلغ مرتبة العبادة كالحلف بغير الله والرياء والتصنع للمخلوقين ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك" وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، لما فيه من تسوية غير الله بالله ﷻ، ولكنه لا ينقض التوحيد، بل يتنافى مع كماله، ولا يحبط جميع العمل، بل يحبط العمل المصاحب، وصاحبه في الآخرة إن دخل النار لا يخلد فيها. تهذيب اللغة١٠/ ١٢، والمفردات في غريب القرآن صفحة ٤٥٢، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم الجوزية صفحة ١٣٦ الناشر: دار المعرفة - المغرب الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ومدارج السالكين لابن القيم الجوزية ١/٣٥٢ المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الشرك في الألوهية: وهو: أن يجعل العبد لله **تعالى** شريكاً في العبادة بأن يتضرع إلى غيره تعالى من شمس أو

قمر أو نبي أو ملك أو ولي مثلاً، بقربة من القرب صلاة أو استغاثة به في شدة أو مكروه أو استعانة به في جلب مصلحة أو دفع مضرة.

الثاني: الشرك في الربوبية: وهو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله **تعالى** ، أو تعطيله عنها بالكلية، من التفرد بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء والمنع، والضر، والنفع، وغير ذلك.

الثالث: الشرك في الأسماء والصفات: وهو التسوية بين الله تعالى والخلق في شيء منها؛ بأن يجعل لله **تعالى** مماثلاً في أسمائه وصفاته؛ فيسميه بأسماء الله، أو يصفه بصفاته، أو يصف الله **تعالى** بشيء من صفات خلقه. (١)

ويطلق الشرك أيضاً ويراد به: الكُفْرُ (٢)، المقابل للإيمان. (٣)

وهو:" صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به، بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان ".(١)

العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي ٤٩٠/٢ المحقق : عمر بن محمود أبو عمر الناشر : دار ابن القيم - الدمام الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٢٢٦/٢ المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٩١،٧٤/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢٦/١-٢٨ ،٣٨، وتجريد التوحيد المفيد للمقريزي ٢٥-٣١ المحقق: طه محمد الزيني الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٢) قال الجوهري: والشِرْكُ أيضاً: الكفر. الصحاح ٤/ ١٥٩٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٦٦/٢

(٣) الكُفْر بالضمُ: ضدُّ الإيمان، والكَفْر بالفتح: التغطية. الصحاح ٨٠٧/٢، ومختار الصحاح صفحة ٢٧١، و لسان العرب ١٤٤/٥

ويسمى بالكفر الأكبر أو الكفر الاعتقادي[٢] وينقسم إلى خمسة أقسام:

الأول: كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، ويدل عليه قوله **تعالى** : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ}.[٣]

الثاني: كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكباراً وعناداً، ويدل عليه قوله **تعالى** : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ }. [٤]

الثالث: كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين، ويدل عليه قوله **تعالى** : {وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ......}.[٥]

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٩/١ قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٣/ ١٤٢ الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، والمفردات في غريب القرآن صفحة٧١٥، وفتاوى السبكي المؤلف: علي بن عبد الكافي السبكي ٥٨٦/٢ الناشر: دار المعرفة بيروت

(٢) وهو أحد نوعي الكفر، والنوع الثاني: الكفر الأصغر أو العملي وهو: كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها؛ فهو معصية عملية لا تخرج عن أصل الإيمان، وإنما توجب لصاحبها الوعيد بالنار، دون الخلود فيها، وسميت كفراً لأنها من خصال الكفر. مدارج السالكين ٣٤٥/١، وفتح الباري ٨٥/١، وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي صفحة ١٠٠ تحقيق: حازم القاضي الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٦٨

(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٣٤

(٥) سورة الكهف ١٨ الآيات ٣٥-٣٧

الرابع: كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول **صلى الله عليه وسلم** ، ويدل عليه قوله **تعالى** : { وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ }.(١)

الخامس: كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، ويدل عليه قوله **تعالى** : {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ }(٢). (٣)

ومن خلال تعريف الشرك والكفر، وبيان أقسامهما يظهر أنَّ: الكفر أشمل من الشرك فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً، والفرق بينهما: " أن الكفر خصال كثيرة، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الايمان لان العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الايمان، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد إلهية مع الله أو دون الله، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ثم كثر حتى قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته".(٤)

وقد رتّب الشرع على من وقع في شيء من أقسام الشرك والكفر آثاراً وعقوبات عظيمة، أهمها:

١ – أنَّه ارتكب أعظم الظلم على الإطلاق قال الله **تعالى** : { إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ }. (٥)

---

(١) سورة الأحقاف ٤٦ من الآية ٣
(٢) سورة المنافقون ٦٣ الآية ٣
(٣) مدارج السالكين ٣٤٦/١،٣٤٧، ومعارج القبول ٥٩٣/٢
(٤) معجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال العسكري صفحة ٤٥٤ المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل٣/ ١٢٤، ومعجم التوحيد دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد المؤلف: أبو عبد الرحمن إبراهيم بن سعد ٤٥٦/٢ الناشر: دار القبس للنشر الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م
(٥) سورة لقمان ٣١ من الآية ١٣

٢ – بطلان عمله، وذهاب ثوابه لقوله تعالى: { وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } .[١]

٣ – إن تاب غفر الله له، وإلا فهو مخلد في النار قال **تعالى** : {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}[٢]، وقال **تعالى** : {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}. [٣]

٤ – حل دمه وماله إلى أن يتوب، لقوله **تعالى** : {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. [٤]

٥ – حرمة مناكحته لقوله **تعالى** : {وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}. [٥]

٦ – وإذا مات لا يرث ولا يورث، ولا يُغسل، ولا يُكفن، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين. [٦]

والحكم بعدم مغفرة الشرك إذا مات الإنسان عليه ولم يتب منه عام على إطلاقه، فيشمل جميع طوائف المشركين والكفار، والآية وإن كان نزولها في

(١) سورة الأنعام ٦ من الآية ٨
(٢) سورة الأنفال ٨ من الآية ٣٨
(٣) سورة المائدة ٥ من الآية ٧٢
(٤) سورة التوبة ٩ من الآية ٥
(٥) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٢١
(٦) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٠٠/١، ١٠١ حققه: محمد عزير شمس الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ، ومعارج القبول ٤٨٦/٢، وتسهيل العقيدة الإسلامية المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين صفحة ١٥٠ الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ومعجم التوحيد ٤٧١/٢

أهل الكتاب لكنها لا تختص بهم، بل تشملهم وغيرهم، لأنَّ العبرة بعموم اللفظ، وهذا الحكم مجمع عليه لا خلاف فيه بين المسلمين.

يقول النووي: " فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام

وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك" هـ.[١]

وقال أبو السعود: "والمرادُ بالشرك مُطلقُ الكفرِ المنتظمِ لكفر اليهودِ انتظاماً أولياً فإن الشرْعَ قد نص على إشراك أهلِ

الكتابِ قاطبةً، وقضى بخلود أصنافِ الكفرةِ في النار ونزولُه في حق اليهود كما قال مقاتل[٢] وهو الأنسبُ بسياقِ النظمِ الكريم وسياقِه لا يقتضي اختصاصَه بكفرهم بل يكفي اندراجُه فيه قطعاً" هـ.[٣]

وقد اقتضت حكمة الله **تعالى** عدم مغفرة الشرك غلقاً لأبواب الكفر كلها، لأن الدين إنما شرع: "لتزكية النفوس وتطهير الأرواح وترقية العقول، والشرك ينافى كل هذا، فهو منتهى ما تهبط إليه العقول، ومنه تتولد سائر الرذائل التي تفسد الأفراد والجماعات، فبه يرفعون من دونهم أو من هم مثلهم إلى مرتبة التقديس والخضوع لهم".[٤]

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢/ ٩٧

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٧٧/١ المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ ، والكشف والبيان ٣٩٣/١٠

(٣) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وفتح القدير١/ ٥٤٩، وروح المعاني٣/ ٥٠، وفتح البيان في مقاصد القرآن٣/ ١٤٣

(٤) تفسير المنار٥/ ١١٩تفسير المراغي٥/ ٥٧، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين الهرري ١٢٨/٦ إشراف: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

يقول الألوسي: " والمعنى أن الله تعالى لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان لأنه سبحانه بت الحكم على خلود عذابه، وحكمه لا يتغير، ولأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر ولذا لم يبعث نبي إلا لسده وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه، وقيل: لأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره" هـ.[١]

ثم ذكر الله تعالى ما يغفره من الذنوب بقوله: { وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ}.

لفظة { دُونَ} تأتي في اللغة بمعنى أقل وأحقر، وتأتي بمعنى (سوى). [٢]

والإشارة في قوله { ذَٰلِكَ} إلى الشرك، وعليه تتعين أن تكون{ دُونَ} في الآية دالة على ما هو الأقل والأحقر، ولا يجوز أن تكون بمعنى سوى وغير، إذ يترتب عليه دخول الكفر فيما يغفره الله **تعالى** لأنّه سوى الشرك، والكفر ليس بمغفور البتة .

وعرَّف المسند إليه باسم الإشارة [٣] لبيان قبح الشرك، وبلوغه أعلى الدرجات في البعد والحقارة .

يقول أبو السعود: " {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ} عطف على خبر إن وذلك إشارة

---

(١) روح المعاني ٣/ ٥٠، وأنوار التنزيل ٢/ ٧٨، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح البيان لإسماعيل حقي ٢١٨/٢ الناشر: دار الفكر - بيروت

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٠٩/٢ المحقق: أحمد يوسف النجاتي، وآخران، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى، وتهذيب اللغة١٤/ ١٢٧، ولسان العرب١٣/ ١٦٤

(٣) من أغراض تعريف المسند إليه باسم الإشارة: بيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط تعظيماً أو تحقيراً. الإيضاح في علوم البلاغة ١٩/٢، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ١٧٥/١ المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، والبلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع المؤلف: حسن بن إسماعيل صفحة ١١٨ الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م

إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح " هـ.[١]

وقوله تعالى: {مَا دُونَ ذَلِكَ} عام يشمل جميع الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة، صدرت عن الإنسان خطأ أو عمداً، وإن لم يتب منها، فالله **تعالى** يغفرها له تفضلاً منه وإحساناً، لكن ليس لكل أحد بل لمن شاء أن يغفر له، ممن اتصف بشيء من المعاصي فقط غير الشرك. [٢]

وهذا مذهب أهل السنة فقد أجمعوا على أنَّ: "المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته".[٣]

وهذه الآية تعتبر من أقوى الأدلة لهم فيما ذهبوا إليه، وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة على ذلك.

يقول الطبري: "وقد أبانت هذه الآية أنَّ كلَّ صاحب كبيرة ففي مشيئة الله عز وجل إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليها مالم تكن الكبيرة شركًا".[٤]

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح المعاني٣/ ٥٠

(٢) التيسير في التفسير٥/ ٥٦، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح البيان٢/ ٢١٨، والتفسير المظهري٢ق ٢/ ١٣٧، وروح المعاني٣/ ٥٠

(٣) نقل هذا الإجماع : أبو الحسن الأشعري وغيره. رسالة إلى أهل الثغر المؤلف: أبو الحسن الأشعري. صفحة ١٥٦ المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤١٣هـ، وشرح السنة للبغوي ١٠٣/١ تحقيق: شعيب الأرنؤوط - ومحمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ١٧٥/١ تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي الناشر: دار طيبة - السعودية الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ومجموع الفتاوى ١٥١/٣-٣٧٤، وشرح العقيدة الطحاوية ٥٢٤/٢

(٤) جامع البيان ٨/ ٤٤٨

وقال النووي: "وفيها دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السَّلف أنه لا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد" هـ.(١)

ويؤيدهم من السنة: ما روي عن عبادة بن الصامت **رضى الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، وإن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه" فبايعناه على ذلك). (٢)

وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا معشر أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** لا نَشُك في قاتلِ النفس، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرَّحم، حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن الشهادة.(٣)

وزلت أقدام بعض الفرق، فخالفوا أهل السنة في هذه المسألة، وصاروا في حكم مرتكب الكبيرة بين طرفي نقيض بيانهما كالآتي:

١ – ذهبت المرجئة إلى أنَّه مؤمن كامل الإيمان، وأنَّه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فكل مَن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحرَّم ما حرم الله، وأحل ما أحل الله، دخل الجنة إذا مات، وإن زنى وإن سرق، وترك الصلاة والزكاة، إذا كان مقراً بها، يسوف التوبة، لم يضر وقوعه على الكبائر، وتركه الفرائض، وركوبه الفواحش، وجعلوا آيات الوعيد كلها مخصصة في الكفار، وآيات الوعد عامة في المؤمنين، تقيّهم وعاصيهم. (٤)

---

(١) شرح النووي على مسلم ٣/ ٥٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٥٢٤/٢
(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بايعوا على أن لا تشركوا بالله شيئا ١/ ٨١ حديث / ١٨
(٣) جامع البيان ٨/ ٤٤٨، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٧١/٣ رقم ٥٤٢٤
(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين المَلَطي صفحة ٤٣ المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، والملل

٢- أمَّا الخوارج والمعتزلة فجعلوا آيات الوعد كلها مخصصة في المؤمن المحسن الذي لم يعص قط، والمؤمن التائب، وجعلوا آيات الوعيد عامة في العصاة كفارا أو مؤمنين. (١)

فقالت الخوارج: " كل من أذنب ذنباً من أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** ، هو كافر في الدنيا، ويكون في النار مخلداً". (٢)

وقالت المعتزلة: هو في الدنيا في منزلة بين منزلتين، فلا يكون اسمه اسم كافر ولا مؤمن، وإنما يُسمى فاسقاً، وكذا لا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، وإن مات قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار. (٣)

والنحل للشهرستاني ١/١٤٠ الناشر: مؤسسة الحلبي، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المؤلف: يحيى بن أبي الخير العمراني ٣/ ٦٦٨ المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، والمحرر الوجيز ٢/ ٦٤

(١) ومن آيات الوعيد التي احتجوا بها، قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً} سورة النساء ٤ الآية ٩٣، وقد أجاب أهل السنة عن هذه الآية بأنها فيمن فعل ذلك مستحلاً له كما ورد عن ابن عباس، أو أن المراد بالخلود المكث الطويل وليس التأبيد. تفسير القرآن للسمعاني ٤١٨/١، والمحرر الوجيز ٢/ ٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٣٤/٥

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ٣٥٥/٢ المحقق: نعيم زرزور الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر الأسفراييني صفحة ٥٠، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧، والملل والنحل ١١٥/١، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي صفحة ٤٦ المحقق: علي سامي النشار الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني صفحة ٦٩٧-٦٦٦، تحقيق الدكتور/عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٣، ١٤١٦ هـ، و التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر صفحة ٦٨،٦٧ المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: عالم الكتب - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، والمواقف لعضد الدين عبد الإيجي٥٤٨/٣ ، والمحرر الوجيز ٢/ ٦٤

وقوله: {وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ} فيه ردَّ من الله **تعالى** على الطوائف الثلاث، فهذه الآية هي الحاكمة بالنص في موضع النزاع، وبيان ذلك كما قال ابن عطية: "أنَّ قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}، أصلٌ مجمع عليه من الطوائف الأربع، والمعنى: أن من مات مشركاً لا يُغفر له، وقوله: {وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ} فصل قاطع بالمعتزلة رادٌ على قولهم رداً لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة، فجاء قوله {لِمَنْ يَشاءُ} راداً عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن".[1]

ثم ختم الله **تعالى** الآية ببيان العلة في عدم غفران الشرك فقال: **{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا }**.

والافتراء[2]: معناه الاختلاق ويكون بالقول والفعل، فيقع على اختلاق الكذب وارتكاب الإثم، وقد استعمل في القرآن بمعنى: الكذب والشّرك والظّلم.[3]

ومعنى قوله: {فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}: "فقد كذب كذباً فيه ظلم وفيه إفساد وضلال، فالشرك يتضمن الكذب على الله تعالى بادعاء شريك له تعالى، ويتضمن ظلماً؛ لأنه اعتداء على المستحق للعبادة وحده، وهو فساد في النفوس".[4]

والإثم هو الذنب[5]، ووصف بالعظيم لأنّ جميع الذنوب تندرج تحته، ولا يغفر لفاعله إن مات عليه كما جاء أيضاً هذا الوصف عن النبي **صلى الله**

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٦٤، والبحر المحيط ٣/ ٦٦٩، والتفسير المظهري٢ ق ٢/ ١٣٧

(٢) فَرى فلان كذباً، إذا خلقه، وافْتَراهُ: اختلقه، والاسم الفِريَةُ، وفَرَى الشيءَ يَفْرِيه فَرْياً وفَرَّاه، كِلَاهُمَا: شقَّه وأَفسده، وأَفْرَاه أَصلحه. الصحاح ٦/ ٢٤٥٤، ومختار الصحاح صفحة ٢٣٩، ولسان العرب١٥/ ١٥٢

(٣) معاني القرآن للزجاج٢/ ٥٩، والمفردات ص ٦٣٤، وتفسير الراغب ٣/ ١٢٦٥، والتفسير المظهري٢ ق ٢/ ١٣٧، وروح المعاني٣/ ٥٠

(٤) تفسير المنار٥/ ١١٩، وزهرة التفاسير٤/ ١٧٠٨

(٥) قال الجوهري: " الإثم: الذنب، وقد أثم بالكسر إثما ومأثما إذا وقع في الإثم فهو (آثم) و (أثيم) و (أثوم) أيضا وأثمه الله في كذا بالقصر يأثمه ويأثمه بضم الثاء وكسرها أثاما عده عليه إثما فهو (مأثوم)» الصحاح ٥/ ١٨٥٧، ومختار الصحاح صفحة١٣

عليه وسلم حينما سئل: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل الله نداً وقد خلقك)(١).

يقول الزجاج: " إِثْماً عظيماً: أي غير مغْفُّور" هـ.(٢)

وقال البيضاوي: "أي ارتكب ما يستحقر دونه الآثام، وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب" هـ.(٣)

ووضع الظاهر موضع المضمر، وأتى بلفظ الجلالة في قوله: {وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ } ولم يقل: (ومن يشرك به)، لإدخال الروع في النفوس، ولبيان قبح الشرك، وفظاعة حال مرتكبه، أي: ومن يشرك بالله تعالى الجامع لجميع صفات الكمال من الجمال، والجلال أي شرك كان فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً.

يقول أبو السعود: "{وَمَن يُشْرِكْ بالله} إظهارُ الاسمِ الجليل في موضعِ الإضمارِ لزيادةِ تقبيحِ الإشراكِ وتفظيعِ حالِ من يتصف به" هـ.(٤)

وهذه الآية قد أعيدت بلفظها في السورة نفسها لكنها ختمت بقوله تعالى:{ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا }(٥)، ولا تكرار بين الآيتين لأن الأولى نزلت في اليهود، والثانية في المشركين، وناسب ختم الآية الأولى بالافتراء لكون اليهود أهل كتاب يعلمون الحق لكنهم حرَّفوا وكتموا ما في كتابهم، أما المشركون فلم يكن لهم كتاب يرجعون إليه فيعرفون به الحق، فناسب ختمها بالضلال.

(١) صحيح البخاري باب: قوله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} سورة البقرة ٢ من الآية ٢٢، ٤/١٦٢٦ حديث رقم ٤٢٠٧

(٢) معاني القرآن للزجاج٢/ ٥٩، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٦٣/٢ تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ولباب التأويل ١/ ٣٨٧

(٣) أنوار التنزيل ٢/ ٧٨، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح البيان٢/ ٢١٨، والتفسير المظهري٢ ق ٢/ ١٣٧، وروح المعاني٣/ ٥٠

(٤) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٨٧، وروح المعاني٣/ ٥٠

(٥) قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} سورة النساء ٤ من الآية ١١٦

قال الخطيب: " وأما إتباع الأول {فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً} فلأن مَنْ أريد بالآية الأولى قوم عرفوا صحة نبوة النبي من الكتاب الذي معهم، فكذبوا وافتروا ما لم يكن عندهم، فكان كفرهم من هذا الوجه الذي أضلوا به أتباعهم.

وأما اتباع الثاني {فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً} من أريد بهم المشركون العرب، وهم لم يتعلقوا بما يهديهم، ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشككون فيه فقد بعدوا عن الرشد وضلوا أتم الضلالات، فاقتضى المعنيون بالأول ما ذكره الله تعالى والمعنيون بالثاني ما أتبعه إياه، وإن كان الفريقان مفترين إثماً عظيماً، وضالين ضلالاً بعيدا والله أعلم" هـ. (١)

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على مجموعة من الفوائد والهدايات العظيمة، جعلتها من أجلِّ الآيات التي كانت خيراً لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت أهمها ما يلي:

١ – نصت الآية على الموجبتين اللتين أخبر بهما النبي **صلى الله عليه وسلم** حينما سأله رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار). (٢)

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ٤٠٤/١ دراسة وتحقيق: د/ محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٢٩٩/١ دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي١٠٥/١وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا ابن زكريا الأنصاري أبو يحيى السنيكي، ١١٥/١ المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، وكشف المعانى فى المتشابه من المثانى لبدر الدين بن جماعة، صفحة ١٣٨ تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء - المنصورة الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م

(٢) صحيح مسلم: باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ٩٤/١ حديث رقم ٩٢

٢ – آذنت الآية بأن كل ما دون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة، والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الإنجاز، خصوصاً لعباده الموحدين المخلصين كما قال لهم: {إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ }.(١)

٣ – أفادت الآية أنَّ في تعليقه **تعالى** غفران الذنب بمشيئته نفع للمسلمين، ليكونوا دائماً على خوف وطمع.

٤ – دلّت الآية على عظم جريمة الشرك، وأنه **سبحانه وتعالى** لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، والمراد بالشرك مطلق الكفر الشامل لكفر اليهود وغيرهم.

قال الواحدي: "قال أهل العلم: وكل كافر فهو مشرك، وإن لم يعبد مع الله غيره، وكل من حكمنا بكفره جاز أن نسميه مشركًا، لأنه قد بلغ بعظم جرمه مبلغ جرم المشرك في عبادة الله عز وجل، كما أن من تكبر على النبي **صلى الله عليه وسلم** ولم يخضع لنبوته كافر، وإن لم يجحد نبوته". (٢)

---

(١) سورة الزمر ٣٩ من الآية ٥٣

(٢) التفسير البسيط ٩٤/٧، ومفاتيح الغيب ١٠/ ٩٧، ولباب التأويل ١/ ٣٨٧، والبحر المحيط ٣/ ٦٦٩

المطلب الخامس

بيان المخرج من الذنب بعد وقوعه

قال تعالى:{وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا} (١)

يخبر الله **تعالى** في هذه الآية الكريمة عباده بسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب منهم ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم استغفر ربه وجده غفورًا له رحيمًا به، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال.(٢)

وقد اختلف في سبب نزولها على قولين: الأول: أنَّها نزلت فيمن وصفهم الله **تعالى** بالخيانة في قوله: **{وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}** (٣) أو في الذين جادلوا عنهم، وهذا قول جمهور المفسرين.

وقصة ذلك: " أن رجلاً من الأنصار يقال له: طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ١١٠

(٢) وقد روي هذا المعنى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم. جامع البيان ٩/ ١٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٨/٢ المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٣) سورة النساء ٤ الآية ١٠٧

رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أن يفعل، وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى: **{إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ}**(١) إلى هذه الآية". (٢)

الثاني: أنَّها نزلت في شأن وحشي قاتل حمزة **رضى الله عنهما**، أشرك بالله وقتل، ثم جاء إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقال: إني لنادم فهل لي من توبة؟ فنزل: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} الآية. (٣)

وقد تباينت أقوال المفسرين في المراد بالسوء(٤) والظلم الواردين في الآية – لوجود المقابلة بينهما – :

فقيل هما بمعنى واحد، فعامل السيئة ظالم لنفسه، ومن ظلم نفسه فقد عمل سوءاً، و(أو) هنا بمعنى الواو والمعنى: ويظلم نفسه بذلك السوء، وكرر ذِكْر ظلم النفس مع عمل السوء مبالغة وزيادةً في البيان. (٥)

وقيل: المراد بالسوء جميع الذنوب سوى الشرك، وظلم النفس المراد به بالشرك، أو أنَّ السوء فعل الصغائر، وظلم النفس إتيان الكبائر. (٦)

---

(١) السورة السابقة من الآية ١٠٥

(٢) جامع البيان للطبري ٩/ ١٩٤، والتفسير البسيط ٧/ ٨٠، وأسباب نزول القرآن للواحدي صفحة ١٨١المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، وزاد المسير ١/ ٤٦٧، ولباب التأويل ١/ ٤٢٥

(٣) بحر العلوم ١/ ٣٣٧، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٨٠، وفتح البيان ٣/ ٢٣٣

(٤) السوء: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم، وساءه يسوءه سوءاً: فعل به ما يكره، نقيض سره. المفردات في غريب القرآن صفحة٤٤١، ولسان العرب١/ ٩٥

(٥) تأويلات أهل السنة ٣/ ٣٥٦، والتفسير البسيط ٧/ ٨٠، والمحرر الوجيز ٢/ ١١١، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل المؤلف: للرازي صفحة ٨٤ تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م

(٦) تفسير الراغب ٣/ ١٤٣٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩٦، والبحر المحيط ٤/ ٥٩، وإرشاد العقل السليم ٢/ ٢٣٠

وأرجح ما قيل في الفرق بينهما: أنَّ المراد بالسوء الذنب القبيح الذي يتعدى أثر إساءته إلى الغير كما فعل طعمة بسرقة الدرع من قتادة واتهامه لليهودي بالسرقة، ويدل على هذا أن الآيات كلها في سياق قصة معينة.

والمراد بظلم النفس الذنوب والمعاصي القاصرة عليها، ولا يتعدى ضررها إلى غيرها، كالكذب واليمين الفاجرة، حيث إن نفس الإنسان أمانة يجب عليه المحافظة عليها، ومراعاة حق الله فيها، فإذا وقع في المعصية فقد ظلمها. (١)

يقول ابن عاشور: " وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية: أن عمل السوء أريد به عمل السوء مع الناس، وهو الاعتداء على حقوقهم، وأن ظلم النفس هو المعاصي الراجعة إلى مخالفة المرء في أحواله الخاصة ما أمر به أو نهي عنه" هـ.(٢)

ولمَّا كان وصول الضرر للغير حاصلاً في الحال خصه باسم السوء، أما إيذاء النفس فعبر عنه بالظلم لأنَّ ضررها لا يكون حالاً، فالإنسان حريص على ألا يلحق الضرر بنفسه.

يقول الفخر: " وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن ذلك يكون في الأكثر إيصالاً للضرر إلى الغير، والضرر سوء حاضر، فأما الذنب الذي يخص الإنسان فذلك في الأكثر لا يكون ضرراً حاضراً لأن الإنسان لا يوصل الضرر إلى نفسه" هـ. (٣)

وعبَّر عن فعل السيئة بالعمل للدلالة على عدم ركون النفس إلى الذنب وكأنَّه شيء طارئ، بخلاف التعبير بالكسب في قوله تعالى: {وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً

---

(١) التيسير في التفسير ١٨٧/٥، والكشاف ١/ ٥٦٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٣٩٤، والبحر المحيط ٤/ ٥٩، وكشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني ٢٩٦/٢ المحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن - إربد الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
(٢) التحرير والتنوير ٥/ ١٩٥، وزهرة التفاسير ٤/ ١٨٤٧، وتفسير المنار ٥/ ٣٢٦
(٣) مفاتيح الغيب ١١/ ٢١٥، ولباب التأويل ١/ ٤٢٥، والبحر المحيط ٤/ ٥٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٤٩٣

ٍ أَوْ إِثْمًا }[١] ففيه دلالة على انشغال النفس بالمعصية، ورجوعها إليها.

قال أبو زهرة: "قوله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا) فإن هذا التعبير يشير إلى أن نفسه لم تركس[٢] في الشر، ولم يستغرقها، بل إنه عمل عارض، ولذا كان التعبير (يَعْمَلْ)، وهذا في مقابل قوله في الطبقة الثانية: {يَكْسِبْ}، فإن الكسب كما تبين يشير إلى تدنس النفس، وارتكاسها في الشر، أما العمل ففي ظاهر الأمر إنه لَا يتجاوز الجوارح " هـ.[٣]

وأتى بـ " ثم" الدالة على التراخي، للإشارة إلى التفاوت بين المعصية التي مآلها الندم والعقاب، وبين الاستغفار الذي مآله الجنة وهو تفاوت غير زمني لأن من يعمل ذنباً من غير أن يحيط بالنفس توبته قريبة، كما قال **تعالى** : {إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ }.[٤]

يقول سيد طنطاوي: " والتعبير «بثم» في قوله: {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} للإشارة إلى ما بين المعصية والاستغفار من تفاوت معنوي شاسع، إذ المعصية تؤدى بفاعلها إلى الخسران أما الاستغفار الذي تصحبه التوبة الصادقة فيؤدى إلى الفلاح والسعادة" هـ.[٥]

والمراد بالاستغفار في قوله {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ}: طلب المغفرة من الله **سبحانه** ، بأن يقول: أستغفر الله، أو اللهم اغفر لي، وظاهر الآية يفيد أنَّ المغفرة والرحمة معلقان على مجرد الاستغفار، لكن هذا مقيد بأمرين هما: مشيئة الله **تعالى** ، والتوبة.

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١١٢
(٢) الركس: قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره. لسان العرب ٦/ ١٠٠
(٣) زهرة التفاسير ٤/ ١٨٤٧
(٤) سورة النساء ٤ من الآية ١٧
(٥) التفسير الوسيط ٣/ ٣٠١، وزهرة التفاسير ٤/ ١٨٤٧

يقول ابن عطية: "وهذه آية وعدٍ بشرط المشيئة على ما تقتضيه عقيدة أهل السنة، وفضل الله مرجو" هـ.(١)

وقال الواحدي: "قوله تعالى: {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} هذا ورد مطلقًا كما ترى من غير ذكر التوبة، وهو عند أهل العلم مقيد بالتوبة، لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار" هـ. (٢)

وإنّما اشترطت التوبة في الاستغفار: " لأنه لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه: تبت وأسأت ولا أعود إليه أبدا؛ فاغفر لي يا رب".(٣)

والتوبة (٤) ليست لفظاً يقال ويلاك باللسان بأن يقول (تبت إلى الله) فقط، بل لابد أن يكون آتيًا بشروطها وهي:

١ – الإخلاص فيها، فلا يحمله على التوبة خوفه من أحد، أو تاب لأجل أن يقال: فلان مستقيم.(٥)

٢ – الندم (٦) على ما فعل من المعاصي، لقول النبي **صلى الله عليه وسلم** : (الندم توبة). (١)

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ١١١، والبحر المحيط ٤/ ٥٩

(٢) التفسير البسيط ٧/ ٨٠، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢١٥، ولباب التأويل ١/ ٤٢٥، والبحر المحيط ٤/ ٥٩

(٣) كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل٢/٢٩٦ ، وروح البيان ٢/ ٢٨١

(٤) قال ابن القيم: « حقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل ». مدارج السالكين١/ ٢٨٠ ، وفتح الباري بشرح البخاري ١٠٣/١١

(٥) قال ابن حجر: "ولا تصح التوبة الشرعية إلا بالإخلاص، ومن ترك الذنب لغير الله لا يكون تائبا اتفاقا" فتح الباري ١٠٣/١١

(٦) والندم: هو «التلهف على ما فعل، وتمني أن يكون تركه، والحسرة على ما ترك وتمني أن يكون فعله، وعلامته طول الحزن والبكاء » .بحر الفوائد للكلاباذي البخاري الحنفي صفحة ٢٣٣ المحقق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، ومختصر منهاج

٣ – الإقلاع عن الذنب، لكن إن تعلق به حق وجب أداؤه: فإن كان في حق الله**تعالى** من جهة الأوامر ويمكنه إدراكه؛ فلا بد من فعله، وإن كان في حقه تعالى من جهة الكفارات؛ فلا بد من قضائها، وإن كان في حق العباد فيجب أداؤه.

٤ – العزم على عدم العود إلى الذنب، وليس الشرط عدم العود، فإن عاد مرة ثانية فلا يضره توبته الأولى.

٥ – أن تكون التوبة في وقت القبول، والوقت وقتان:

الأول عام: وهو أن تكون قبل قيام الساعة، ولهذا يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها). (٢)

والوقت الثاني خاص لكل فرد: وهو قبل نزع الروح، لقوله تعالى: {وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا } (٣) . (٤)

ولإفادة المبالغة في تحقق المغفرة والرحمة لمن استغفر أتى بالفعل (يجد)، لدلالته على حصول المطلوب ومشاهدته، فأطلق الوجدان على تحقيق العفو والمغفرة على وجه الاستعارة التصريحية التبعية. (١)

القاصدين لابن قدامة المقدسي صفحة ٢٥٩ قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

(١) مسند الإمام أحمد ٤٨٩/٣حديث رقم ٣٥٦٧ ، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح، و المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٧١/٤ رقم ٧٦١٢ ، وقال الذهبي (صحيح) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٨/ ١١١ حديث ١٦٩٠٦ ، وقال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وسنن أبي داود ١٣٦/٤

(٣) سورة النساء ٤ من الآية ١٨

(٤) مدارج السالكين ٢٨٠/١، وفتح الباري ١٠٣/١١، ومعارج القبول ١٠٤٤/٣

يقول ابن عطية: "قوله تعالى: {يَجِدِ اللَّهَ} استعارة، لما كانت الرحمة والغفران معدة للمستغفرين التائبين، كانوا كالواجدين لمطلوب، وكأن التوبة ورود على رحمة الله وقرب من الله" هـ. (٢)

والرحمة والمغفرة في الآية للمستغفرين التائبين، وحذف ما يدل على ذلك لدلالة ما قبله عليه، لأنَّ الترغيب في الاستغفار لن يحصل إلا إذا كان المعنى هو غفران الذنب لهم.

يقول الواحدي: " وقوله: {يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} معناه: غفورًا رحيمًا له، لأن الله غفور رحيم استغفر هذا الظالم أو لم يستغفر، فحذف (له) لدلالة الكلام عليه، وتلك الدلالة أنه لا معنى للترغيب في الاستغفار إلا أن يكون على هذا الوجه" هـ.(٣)

وعبَّر بصيغة المبالغة في قوله {غَفُورًا رَحِيمًا} ليبين أنَّه شديد الغفران وشديد الرحمة وذلك كما ذكر ابن عاشور: "كناية عن العموم والتعجيل، فيصير المعنى يجد الله غافراً له راحماً له، لأنه عام المغفرة والرحمة فلا يخرج منها أحد استغفره وتاب إليه، ولا يتخلف عنه شمول مغفرته ورحمته زمناً، فكانت صيغة غفوراً رحيماً مع يجد دالة على القبول من كل تائب بفضل الله".(٤)

وقيل المراد بوجدان الله **تعالى** غفوراً رحيماً: "أن التائب المستغفر يجد أثر المغفرة في نفسه بكراهة الذنب وذهاب داعيته، ويجد أثر الرحمة بالرغبة في

---

(١) الاستعارة التصريحية : هي ما صرح فيها باللفظ الدال على المشبه به، والتبعيّة هي التي يكون اللفظ المستعار فيها " فِعْلاً مثل : أشْرَقَ - يُشْرِقُ - أَشْرِقْ أو اسماً مشتقاً، مثل: " جَارِح - مَجْروح - جَرِيح - أو حرفاً من حروف المعاني، مثل: "اللام الجارّة - مِنْ - في - لَن -". علوم البلاغة ٢٢٩/١، ٢٧٠، جواهر البلاغة ٢٦٠/١

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ١١١، والبحر المحيط ٤/ ٥٩، والتحرير والتنوير ٥/ ١٩٥

(٣) التفسير البسيط ٧/ ٨٠، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢١٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٢/ ٤٩٣

(٤) التحرير والتنوير ٥/ ١٩٥

الأعمال الصالحة التي تطهر النفس وتزيل ذلك الدرن منه، فيكون السوء أو الظلم الذي تاب منه العبد".[١]

وهذه الآية عامة لكل عبد من عباد الله أذنب ذنباً ثم استغفر الله **سبحانه وتعالى** ، وإن نزلت على سبب خاص فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.[٢]

وقد ورد في قبول الاستغفار وأنه يمحو الذنوب أحاديث كثيرة منها: ما روي عن علي بن أبي طالب **رضى الله عنه** قال: كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله **صلى الله عليه وسلم** نفعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره استحلفتُه، وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر **رضى الله عنه** قال: ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين، ويستغفر الله تعالى إلا غفر الله له، وتلا هذه الآية {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ}"[٣]

وعن عبد الله بن مسعود **رضى الله عنه** من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له قوله قوله **تعالى** : {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ...}، وقوله تعالى:{ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا }[٤]. [٥]

---

(١) تفسير المنار٥/ ٣٢٦، وتفسير المراغي٥/ ١٥٠، وتفسير حدائق الروح والريحان ٦/ ٣٣٦

(٢) تفسير الطبري ٩/ ١٩٤ ، وزاد المسير ١/ ٤٦٧، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٨٠، وفتح البيان ٣/ ٢٣٣

(٣) سنن أبي داود ٢/٦٣٠ رقم ١٥٢١ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط): اسناده حسن، وصحيح ابن حبان ٤٠٧/١ المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

(٤) سورة النساء ٤ من الآية ٦٤

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ٢٥٢/١٦ رقم ٣١٤٩٩ المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري وقال عنه: (صحيح) الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م، وسنن سعيد بن منصور

وقد أظهرت هذه الآية الكريمة – محل الدراسة – أحكاماً عظيمة تبين مدى لطفه **تعالى** العظيم ووعده الكريم للعصاة إذا استغفروه ورجعوا إليه، أجمل هذه الأحكام في الآتي:

١ – أكدت الآية على أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب سواء كانت كفراً أو قتلاً، عمداً أو غصباً للأموال لأن قوله **تعالى** : {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} عمَّ الكل .

٢ – دلت الآية على أن الإنسان تصح توبته من الذنب ولو تكرر، ووجه الدلالة العموم أيضاً في قوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ} فهو عام فيمن تكرر منه ذلك أو لم يتكرر، ويدل عليه الحديث الصحيح عن النبي **صلى الله عليه وسلم** : (أن رجلًا أذنب فاستغفر الله، فقال الله **تعالى** : علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عاد ثانية ثم ثالثة إلى أن قال الله له: اعمل ما شئت فقد غفرت لك) [1]، فهذا يدل على أن التوبة تثبت وتقع من الله **تعالى** ولو تكرر الذنب.

٣ – بينت الآية أن فعل المعاصي ظلم للنفس، وأن معصية العاصي تضره وحده، وفي هذا تهديد لمن يتجرأ على المعاصي ويستمر عليها.

٤ – حثت الآية الكريمة من نزلت فيهم وغيرهم من المذنبين على التوبة والاستغفار، وفيها – بحسب المفهوم – تخويف لمن لم يستغفر ولم يتب، فإنها أفادت أن من لم يستغفر حرم من رحمة تعالى وابتلي بغضبه.

١٠٩١/٣ ٥٢٦ دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

(١) صحيح البخاري: باب: قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} ٦/ ٢٧٢٥ حديث ٧٠٦٨

المطلب السادس

عاقبة كل من الكفر والإيمان

قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا}.(١)

يبين الله **سبحانه وتعالى** في الآية الكريمة أن للإيمان ركنين يبنى عليهما ما عداهما، ولا يقبل الإيمان بدونهما، وهما الإيمان به **تعالى** ، والإيمان بجميع رسله بدون تفرقة بين رسول وآخر، ووعد **سبحانه وتعالى** من آمن بهما الأجر العظيم والمغفرة والرحمة، أمَّا مَن أنكرهما أو أحدهما فقد توعده بالعذاب المهين، ونصت الآيات السابقة (٢) على كفره، لكي يظهر الفرق بين منزلة كل فريق، وهكذا شأن القرآن الكريم في ذكر الترغيب والترهيب، والثواب والعقاب.

يقول ابن عطية: "لما ذكر الله تعالى أن المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقاً، عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعاً، وهم المؤمنون بمحمد **صلى الله عليه وسلم** ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد أولئك، فبين الفرق بين المنزلتين" هـ. (٣)

واكتفى في هذه الآية بذكر الإيمان ولم يذكر العمل: " لأن السياق هنا في مقابلة الإيمان الصحيح بالله ورسله – بلا تفرقة – بالكفر التام، ومقابلة وعده للمؤمنين بوعيده للكافرين". (٤)

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ١٥٢

(٢) في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا }سورة النساء ٤ الآيتان ١٥١،١٥٢

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ١٣٠، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٥، ٤٦، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي٢/٣٢٤ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، وروح البيان ٢/ ٣١٤، وتفسير المراغي ٦/ ٦

(٤) تفسير المنار ٦/ ٩

والإيمان [١] كما قال الراغب: "إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ". [٢]

وجمهور المفسرين على أن المراد بالذين آمنوا في الآية: أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** ، فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله **تعالى** وبكل نبي بعثه، وروي عن ابن عباس **رضى الله عنه** أن المراد بهم: عبد الله ابن سلام ومن آمن من أهل الكتاب. [٣]

وعبَّر عنهم باسم الموصول للإشارة إلى نوع بناء الخبر المحكوم به عليهم ففي: "مضمون الصلة الذي هو (الإيمان بالله ورسوله) ما يشير إلى أن الخبر المبني على الموصول وصلته من جنس الثواب والإكرام" . [٤]

وأخبر عن إيمانهم بالفعل الماضي فقال: (آمنوا) ولم يقل: (يؤمنون) لإفادة الترغيب في الإيمان، فكأنه وقع منهم وتحقق، بخلاف الذين كفروا فأخبر عن كفرهم في الآية السابقة بصيغة المضارع لإفادة النهي عنه وكأنه ليس موجوداً.

يقول ابن عرفة: "قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ}[٥] عبر عنهم بلفظ المضارع، ثم قال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} فعبر بلفظ الماضي،

---

(١) الأمن: ضد الخوف، والايمان: التصديق. تهذيب اللغة ١/ ٢٠٩، والصحاح ٥/ ٢٠٧١، ولسان العرب ١٣/ ٢١

(٢) المفردات في غريب القرآن صفحة٩١، والشريعة للآجُرِّيُّ البغدادي ٦١١/٢ الناشر: دار الوطن - الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٩١١، والإيمان لابن منده ٣٤١/١ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦

(٣) معالم التنزيل ٢/ ٣٠٥، والبحر المحيط ٤/ ١٢٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٥، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس صفحة ٨٤ جمعه: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة ٣٥/٢ ، البلاغة العربية ٤٣٣/١

(٥) سورة النساء ٤ من الآية ١٥٠

لأن الإيمان مأمور مطلوب به فجعل كالواقع المحقق، والكفر منهي عنه فجعل كأنه لم يقع" هـ.[١]

والإيمان بالله **تعالى** يتضمن أربعة أشياء: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، وتفرده بذلك، وأنه **سبحانه** الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه **سبحانه وتعالى** موصوف بالكمال منزه عن النقص، فلا ظلم ولا عبث في خلقه وشرعه وقدره؛ بل هو تعالى حكيم في ذلك كله.[٢]

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور أيضاً:

أولها: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأن من كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

والثاني: الإيمان بمن عُلم اسمه منهم مثل: نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم** ، وبقية الأنبياء المذكورين في القرآن بأسمائهم، وأما من لم يُعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، تصديقاً لقوله تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ} .[٣]

والأمر الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

والأمر الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد **صلى الله عليه وسلم** المرسل إلى جميع الناس إلى الثقلين من الجن والإنس.[٤]

---

(١) تفسير ابن عرفة ٢/ ٦٧

(٢) ري الظمآن بمجالس شعب الإيمان، (للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي) المؤلف: أبو حمزة غازي بن سالم أفلح ١٥٨/١ الناشر: مكتبة دروس الدار، الشارقة - الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م، وشرح العقيدة الطحاوية المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر البراك صفحة ١٢٨

(٣) سورة غافر ٤٠ من الآية ٧٨

(٤) المنهاج في شعب الإيمان المؤلف: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت ٤٠٣ هـ) ٢٣٨/١ المحقق: حلمي محمد فودة الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ومعارج القبول ٦٧٥/٢

والتفريق المنهي عنه في قوله تعالى: {وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} إنما هو في الإيمان والتصديق وليس في العمل بشرائعهم، فالواجب الإيمان بجميع الرسل والتصديق بكل ما جاءوا به من عند ربهم، وكذلك الإيمان بأن شرائعهم من عند الله **تعالى** ، وعدم الكفر بأحدٍ من الأنبياء والرسل عليهم السلام. (١)

أما العمل بشرائعهم فقد جعل الله**تعالى** لكل شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، كما قال تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }(٢) ولكن الشريعة الإسلامية التي جاء بها سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم** نسخت جميع الشرائع، فأصل الإيمان بين الشرائع شيء واحد، وهو الإيمان بالواحد القهار **سبحانه** ، ولكنها في العمل تختلف باختلاف الناس وأحوالهم، والعموم والخصوص. (٣)

ولفظ {أَحَد}: اسم لمن يعقل يستوي فيه الواحد والجمع (٤)، ولذا صح دخول فعل التفريق عليه مع أنه لا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف جاز دخول {بَيْنَ} على {أَحَدٍ} وهو يقتضي شيئين فصاعدا؟ قلت: إن أحداً عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحداً، فتقصد العموم، ألا تراك تقول: إلا بنى فلان، وإلا بنات فلان فالمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى: { لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ } هـ (٥) ". (١)

---

(١) جامع البيان للطبري ٩/ ٣٥٥ ، وبحر العلوم ١/ ٣٥٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٤٤٢، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ٥٤٨/١ الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ ه، وفتح البيان في مقاصد القرآن٣/ ٢٨٤

(٢) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٧٨٧/٢، ومعارج القبول ٦٧٣/٢ ، وتفسير المنار ٦/ ٩

(٤) الصحاح ٢/ ٤٤٠، و لسان العرب ٧٠/٣

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٣٢

وعرَّف المسند إليه باسم الإشارة[٢] في قوله: {أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ} تعظيماً للمؤمنين الموصوفين بالصفات السابقة وللتنبيه على أنهم: " أحرياء بما بعد اسم الإشارة من حكم بسبب ما أجري عليهم من الأوصاف".[٣]

والمراد بالأجر هنا: الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل الذي يعطوه في الجنة على ما آمنوا بالله ورسله. [٤]

وفي تسميته **سبحانه وتعالى** ثواب عملهم أجراً تفضلاً منه وتكرماً، ليؤكد ثبوت هذا الثواب لهم، فهو كالأجر الذي يستحقه العامل إذا انتهى من عمله.

قال السمعاني: " إنما سماه أجراً مجازاً؛ لأنه ذكره بإزاء العمل، لأن العمل يوجبه، وهذا نحو قوله **سبحانه وتعالى** في قصة موسى **عليه السلام**: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا } [٥] سماه أجراً على مقابلة العمل، لأن موسى عمل ليؤجر عليه" هـ.[٦]

ويقول السبكي: "سماه أجراً تأكيداً لثبوته وتنزيلاً له منزلة الأجر المستحق بالعمل كما قال: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ } [٧]، وكما قال **صلى الله**

---

(١) الكشاف ١/ ٥٨٣، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٢/ ١٠٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٥٢٣، وروح البيان ٢/ ٣١٤، والتفسير المظهري ٢ ق ٢/ ٢٦٨

(٢) يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة: إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص، ولا مُعيَّناً آخر، كقولك أتبيع لي هذا - مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسما - ولا وصفاً، أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى فإما لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع أو للقصد إلى أن السامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس بواسطة الإشارة وإما لبيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط . بغية الإيضاح ٨٥/١، وجواهر البلاغة ١١٢/١

(٣) التحرير والتنوير ٤٩،٤٧/١٦

(٤) بحر العلوم ١/ ٣٥٣، وتفسير ابن كثير٢/ ٤٤٥

(٥) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٥

(٦) تفسير السمعاني١/ ٤٩٧، وتفسير ابن عرفة ١/ ٣١١

(٧) سورة الأنعام ٦ من الآية ٥٤

عليه وسلم مخبراً عنه تعالى: (إني حرمت الظلم على نفسي)(١)، وهذا كما يقول الإنسان: حقك واجب علي وأنا ظالم إن لم أفعل، والمقصود في ذلك كله تأكيد الوفاء لا حقيقة الوجوب" هـ.(٢)

ولم يبين هنا مقدار الأجر، لكنه بينه في مواضع كثيرة في القرآن، وكذلك في السنة، أنَّ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وأتى بـ (سوف) الدالة على التنفيس(٣) لتأكيد الأجور التي وعدهم إياها، وللدلالة على أنها ثابتة لهم في الزمن المستقبل وآتية مهما تأخرت.

يقول الزمخشري: " معناه: أنّ إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا" هـ.(٤)

وعبَّر عن إيتائهم أجورهم في آخر سورة النساء بالسين فقال: {أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا }(٥)، وعبر هنا بـ (سوف) – وهي أبلغ في التنفيس من السين –، وعلة ذلك كما قال ابن عرفة: "أن هذه الآية فيمن حمل مطلق الإيمان بالله ورسوله أعم من أن يكون أطاع في الفروع أو عصى فناسب

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ حديث رقم ٢٥٧٧

(٢) فتاوى السبكي ٢/ ٥٢٢، والتيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٢/ ٢٣٠

(٣) قال ابن يعيش: (السين وسوف) موضوعةٌ للاستقبال، أي: إنّها تفيد الاستقبالَ، وتقصر الفعلَ بعدها عليه. فمن ذلك "السين وسَوْفَ"، ومعناهما التنفيسُ في الزمان، فإذا دخلا على فعل مضارع، خلّصاه للاستقبال، وأزالا عنه الشياعَ الذي كان فيه، إلّا أن "سَوفَ" أشدُّ تراخِيًا في الاستقبال من السين، وأبلغُ تنفيسًا. شرح المفصل للزمخشري المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ٩٥/٥ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، والمفصل للزمخشري صفحة ٤٣٥

(٤) الكشاف ١/ ٥٨٣، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٢/ ١٠٦، وتفسير ابن كمال باشا ٢٠٦/٣ المحقق: ماهر أديب حبوش الناشر: مكتبة الإرشاد، إسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، وإرشاد العقل السليم ٢/ ٢٤٩

(٥) من قوله تعالى: {لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا } سورة النساء ٤ الآية ١٦٢

الإتيان بسوف المقتضي لكمال تراخي أجورهم، والآية الأخرى فيمن حصل الإيمان وفروعه فناسب أنها خبر لما يقول على قرب الثواب الذي ينالهم في المستقبل".[١]

ولم يقل هنا في حق المؤمنين: (إنهم هم المؤمنون حقاً) كما وصف الكافرين في الآية السابقة بقوله: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ} [٢]: "لئلا يتوهم متوهم أن كمال الإيمان يوجد وإن لم يترتب عليه لازمه من الهدى والعمل الصالح فيغتر بذلك ويترك العمل النافع، وهذا مما لا يتلاءم مع نصوص الدين".[٣]

أما المؤمنون حقاً فقد بينهم الله تعالى ووصفهم في آيات أخرى بقوله: {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤} [٤]

قال صاحب المنار: "وتأمل الفرق بين الوعد في هذه الآية الأخيرة من هذه الآيات والوعد في الآية التي نفسرها تجده عظيماً، فإنه تعالى أثبت لهؤلاء الذين هم المؤمنون حقاً الدرجات العلى عند ربهم، والرزق الكريم، بلام الملك، جزاء على ما أثبت لهم من أصل شجرة الإيمان وفروعها، وأما أولئك الذين أثبت لهم الأصل فقط وهو الإيمان بالله ورسله بلا تفرقة بينهم فإنما وعدهم بأنه يعطيهم أجورهم أي: بحسب حالهم في العمل" هـ. [٥]

---

(١) تفسير ابن عرفة ٢/ ٦٧

(٢) سورة النساء ٤ الآية ١٥١

(٣) فقد دل القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل. شرح العقيدة الطحاوية ٤٤٥/٢، ولوامع الأنوار البهية ٤١٦/١

(٤) سورة الأنفال ٨ الآيات ٢-٤

(٥) تفسير المنار ٦/ ٩، وتفسير المراغي ٦/ ٦، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٧/ ١٥

وختم الآية بقوله: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً}، وأتى بالفعل (كان)[١] ماضياً لإفادة المبالغة في صفتي الرحمة والمغفرة، فهما صفتان أزليتان وموجودتان على الدوام، وهو **سبحانه وتعالى** كان وما زال غفوراً رحيماً.

يقول ابن الأثير: "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها، والغرض بذاك تبيين هيئة الفعل، واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد" هـ.[٢]

وخص بعض المفسرين الرحمة والمغفرة في الآية بمن كانوا على الشرك والكفر ثم آمنوا، فالله **سبحانه وتعالى** يغفر لهم ما تقدم من الكفر والشرك قبل مجيء محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ويرحمهم. [٣]

وهذا الرأي وإن كان يؤيده سياق الآية، لكنَّ اللفظ عاماً فتشمل الرحمة والمغفرة من كان على الشرك ثم آمن، ومن كان على ذنب من المؤمنين، فالله **سبحانه وتعالى** يغفر لما فرط منهم جميعاً، ويرحمهم بتضعيف حسناتهم، وهذا ما عليه جمهور المفسرين.

يقول الطبري: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا}، يقول: ويغفر لمن فعل ذلك من خلقه ما سلف له من آثامه، فيستر عليه بعفوه له عنه، وتركه العقوبة عليه، فإنه لم يزل

---

(١) قال الزمخشري: (كان) عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً}. الكشاف ١/ ٤٠٠، والدر المصون ٣/ ٣٤٨، والتحرير والتنوير٤/ ٤٩

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف: ضياء الدين بن الأثير ١٤٩/٢ تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

(٣) بحر العلوم ١/ ٣٥٣، والتيسير في التفسير٥/ ٢٤٤، ولباب التأويل ١/ ٤٤٢

لذنوب المنيبين إليه من خلقه {غَفُورًا رَحِيمًا}، يعني ولم يزل بهم رحيماً، بتفضله عليهم بالهداية إلى سبيل الحق، وتوفيقه إياهم لما فيه خلاص رقابهم من النار" هـ.(١)

وبعد دراسة هذه الآية الكريمة – وهي خاتمة الآيات الكريمات موضوع الدراسة – أذكر بعض الفوائد، والهدايات التي أشارت إليها في النقاط التالية والتي رتب الله عليها الأجور العظيمة:

١ – وجوب الإيمان بالله **تعالى** وبجميع الرسل، وتحريم الكفر بالله وبأي واحد من رسله، لأن الكفر ببعضهم كفر بالجميع.

٢ – حرمة التفريق بين رسل الله **تعالى** ، وهذا في أصل الرسالة فهم جميعاً رسل حق من عند الله **تعالى** ، ولكن يجوز التفاضل بينهم، وسبب التفضيل ما حباهم الله به من المناقب والفضائل، كما أخبر الله تعالى بذلك في كتابه فقال: {۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ }.(٢)

٣ – وعد الله **سبحانه وتعالى** من لم يفرق بين رسله بالأجر العظيم، وأتم منته **تعالى** على العباد حيث سمى هذا الثواب أجراً، فقد أثبت الثواب لهم ثبوت الأجر المستحق للعامل على عمله، وهذا من تمام فضله **سبحانه وتعالى** عليهم.

٤ – دلت الآية على بطلان قول المعتزلة في عدم تسمية صاحب الكبيرة مؤمناً، وفي خلوده في النار، مع كونه آمن بالله ورسله، ولم يفرق بين أحد من رسله، فدخل في عموم قوله تعالى: {أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ}.

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٣٥٥، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٥، وأنوار التنزيل ٢/ ١٠٦، والبحر المحيط ٤/ ١٢٠، وتنوير المقباس صفحة٨٤، وتفسير ابن كمال باشا ٣/ ٢٠٦، وإرشاد العقل السليم ٢/ ٢٤٩، وروح المعاني٣/ ١٨١

(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٥٣

ولهذا تمسك أهل السنة بها كما ذكر الفخر في: "إثبات العفو وعدم الإحباط: فقالوا إنه تعالى وعد من آمن بالله ورسله بأن يؤتيهم أجورهم، والمفهوم منه يؤتيهم أجورهم على ذلك الإيمان، وإلا لم تصلح هذه الآية لأن تكون ترغيباً في الإيمان، وذلك يوجب القطع بعدم الإحباط والقطع بالعفو وبالإخراج من النار بعد الإدخال فيها".[(١)]

٥ – أخبر الله **سبحانه وتعالى** في هذه الآية – بعد الوعد بالثواب – أنه يتجاوز عن السيئات ويغفرها، ويضاعف في الحسنات، وهذا كالترغيب لليهود والنصارى وغيرهم في الإيمان بمحمد **صلى الله عليه وسلم** لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر.

(١) مفاتيح الغيب ١١/ ٢٥٥، وتأويلات أهل السنة ٣/ ٤٠٥

خـــاتـــمـــة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، إليه يرجع الفضل كله، والأمر كله، وسبحانك ربى " لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " [١] فلك الحمد ولك الشكر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فالحمد والفضل كله لله **تعالى** حيث وجهني لاختيار هذا الموضوع، والذي تعلمت منه الكثير، ثم أجدد الحمد لله أن وفقني للكتابة فيه حتى خرج في هذه الصورة، والله تعالى أسأل أن تنال رضاه أولاً، ثم رضا من طالعها، وقد توخيت في هذه الدراسة أن تكون وسطاً بين الإفراط والتفريط، وقصداً بين الإيجاز المخل بالمقصود والإطناب الممل عن المراد.

وبعد الانتهاء من دراسة هذه الآيات الكريمة ألخص هنا أهم ما احتوت عليه من علم، وما أحاطت به من قواعد عظيمة في الدين، وما اشتملت عليه من كليات محكمة في الشريعة، جعلتها خيراً لهذه الأمة من الدنيا وما فيها، وخيراً لهم مما طلعت عليه الشمس وغربت:

١- دلت الآيات الكريمة على مدى ضعف الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وكشفت عن إرادة الله **سبحانه وتعالى** التخفيف عن عباده، ومنته في تطهير المؤمنين من الأخباث والأوزار، وحثت على مراقبة الله **سبحانه وتعالى** في السر والعلانية، ووضحت عظم رحمته **سبحانه وتعالى** وكرمه في التجاوز عن الذنوب بتشريع التوبة، وفي هذا كله دلالة على كمال هذه الأمة وشريعتها.

٢- أفادت الآيات أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وبينت مدى سعة رحمة **تعالى** بعباده المؤمنين، وذلك بتكفير صغائر ذنوبهم إذا اجتنبوا كبائرها، وأن الصغائر

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود، ٤٤٠/٢ حديث رقم٢٢٢ـ ٤٨٦

تقع مكفرة باجتناب الكبائر؛ وأنَّ مَنْ لم يجتنب الكبائر أُخذ بالصغائر؛ لكن الكبائر والصغائر تحت مشيئته**تعالى** ما لم تكن كفرًا.

٣ – في الآيات دليل على دخول كل مؤمن الجنة، وعلى أن الظلم لا يقع منه **تعالى** ، لأنه من النقص الذي يتنزه عنه **سبحانه وتعالى** فهو ذو الكمال المطلق، وهو **تعالى** لا يكتفى بجزاء المحسنين على إحسانهم، وإنَّما يعطيهم من عنده عطاء كبيراً.

٤ – أخبرت الآيات بأن كل ما دون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة، والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الإنجاز، ودلّت على عظم جريمة الشرك، وأنه **سبحانه وتعالى** لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، والمراد بالشرك مطلق الكفر الشامل لكفر اليهود وغيرهم، وهاتان هما الموجبتان اللتان أخبر عنهما النبي **صلى الله عليه وسلم** .

٥ – أثبتت الآيات أن فعل المعاصي ظلم للنفس وأن معصية العاصي تضره وحده، فحثت المذنبين على التوبة والاستغفار، ودلت على أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب، وأنَّ الإنسان تصح توبته من الذنب ولو تكرر.

٦ – أكدت الآيات على وجوب الإيمان بالله **تعالى** وبجميع الرسل، وعلى حرمة التفريق بين الله ورسله، ووعد الله **سبحانه وتعالى** من لم يفرق بين رسله بالأجر العظيم، وبالتجاوز عن سيئاته ومغفرتها.

وبعد: فهذا ما مَنَّ الله **تعالى** به عليَّ، وما سنحت به الفرصة في دراسة هذه الآيات الكريمة، ومبلغ ظني أنها وافية، فإن أكن وفقت فذلك من فضل الله **سبحانه وتعالى** ، فمنه وحده الهداية والتوفيق، وبه الحول والقوة **[وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ]**.(١)

(١) سورة هود ١١ من الآية ٨٨

وإن كانت الأخرى فمرجع ذلك أنني بشر أخطئ وأصيب، ولا ألومن إلا نفسي وتقصيري، وحسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي، واشتغلت فترة بكتاب الله تعالى.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وأن يثقل به حسناتي يوم العرض عليه، وألا يحرمني ووالدي الثواب عليه، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : كتب التفسير وعلوم القرآن

١ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢ أسباب نزول القرآن للواحدي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م

٣ الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية المؤلف: نجم الدين الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤ إعراب القرآن للأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ) قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد الناشر: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٥ الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٦ أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م

٧ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٨ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير) لأبي بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٩ بحر العلوم للسمرقندي (ت ٣٧٣هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي أحمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣

١٠ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
١١ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ
١٢ التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
١٣ التسهيل لابن جزي الكلبي المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
١٤ تفسير ابن عرفة (ت ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
١٥ تفسير ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) المحقق: ماهر أديب حبوش الناشر: مكتبة الإرشاد، إسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
١٦ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الإِيجي (ت ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
١٧ التَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي، (ت ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ
١٨ تفسير الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
١٩ تفسير الشعراوي - الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم سنة النشر ١٩٩٧م
٢٠ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م
٢١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

٢٢ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ
٢٣ تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه المؤلف: محمد علي طه الدرة الناشر؛: دار ابن كثير - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٢٤ تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٢٥ التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة
٢٦ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) المؤلف: أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) ١٤٤/٣ المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٧ تفسير المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
٢٨ التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله (ت ١٢٢٥) المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ
٢٩ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
٣٠ التفسير الوسيط للزحيلي الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٣١ التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى
٣٢ تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف المحقق: ناجي سويدان الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١
٣٣ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: محمد الأمين الهرري [ت ١٤٤١ هـ] إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣٤ تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ

٣٥ تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

٣٦ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان

٣٧ التيسير في التفسير المؤلف: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (٤٦١ - ٥٣٧ هـ) المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

٣٨ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) تحقيق محمود محمد شاكر توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - بدون تاريخ نشر

٣٩ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٤٠ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ت ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٤١ حاشية الشهاب، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى لشهاب الدين الخفاجي دار النشر: دار صادر - بيروت

٤٢ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق

٤٣ درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٤٤ دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر لعبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ) دراسة وتحقيق: (الفاتَحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٤٥ دقائق التفسير لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد السيد الجليند الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٤
٤٦ روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت
٤٧ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ
٤٨ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٤٩ زهرة التفاسير لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي
٥٠ غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت
٥١ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٥٢ غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
٥٣ فتحُ البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان (ت ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
٥٤ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
٥٥ فتح القدير للشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ،
٥٦ فضائل القرآن لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق: مروان العطية - محسن خرابة -وفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م

٥٧ فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لابن الضريس (ت ٢٩٤هـ) تحقيق: غزوة بدير الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

٥٨ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المؤلف: المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ) حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٥٩ الكشاف للزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٦٠ كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني (ت ٨٠٠ هـ) المحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن - إربد الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م

٦١ كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لبدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء - المنصورة الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

٦٢ الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٦٣ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (ت ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٦٤ مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ

٦٥ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٦٦ معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٦٧ معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى

٦٨ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٥

٦٩ معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (ت ٩١١هـ) طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٧٠ المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة المؤلف: أحمد عمر أبو شوفة الناشر: دار الكتب الوطنية - ليبيا عام النشر: ٢٠٠٣

٧١ مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي طبعة: دار إحياء التراث العربي بيروت الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٧٢ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٧٣ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٧٤ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٧٥ النكت والعيون لالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٧٦ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٧٧ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون قدمه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

ثانياً : كتب العقيدة

٧٨ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) المحقق: علي سامي النشار الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٧٩ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ) تحقيق: حازم القاضي الناشر: وزارة

الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ
٨٠ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٨١ المواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي طبعة دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ
٨٢ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المؤلف: يحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨ هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ١٤١١ هـ الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
٨٣ الإيمان لابن منده المؤلف: أبو عبد الله محمد بن مَنْدَه العبدي (ت ٣٩٥ هـ) المحقق: د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦
٨٤ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني (ت ٤٧١هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: عالم الكتب - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٨٥ تجريد التوحيد المفيد المؤلف: تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) المحقق: طه محمد الزيني الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
٨٦ تسهيل العقيدة الإسلامية المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
٨٧ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع المؤلف: أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (ت ٣٧٧هـ) المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر
٨٨ رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب المؤلف: أبو الحسن بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ) المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤١٣هـ
٨٩ ري الظمآن بمجالس شعب الإيمان، للبيهقي المؤلف: أبو حمزة غازي بن سالم أفلح الناشر: مكتبة دروس الدار، الشارقة - الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

٩٠ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ت ٤١٨ هـ) تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي [ت ١٤٣٤ هـ] الناشر: دار طيبة - السعودية الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م
٩١ شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار الهمذاني تحقيق الدكتور/عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٣، ١٤١٦ هـ
٩٢ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
٩٣ شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر البراك إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس الناشر: دار التدمرية الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٩٤ شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ، قدم له إبراهيم شمس الدين بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م
٩٥ شرح المواقف في علم الكلام. المؤلف. عضد الدين الايجي تأليف السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان منشورات محمد علي بيضون.
٩٦ شرح جوهرة التوحيد المسمى: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام ابن إبراهيم اللقاني المالكي طبعة مطبعة السعادة – مصر الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
٩٧ الشريعة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠ هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الناشر: دار الوطن - الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
٩٨ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١) تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م
٩٩ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للإسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧
١٠٠ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

١٠١ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
١٠٢ مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
١٠٣ مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
١٠٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
١٠٥ مدارج السالكين في منازل السائرين المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١) الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م
١٠٦ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت : ١٣٧٧هـ) المحقق : عمر بن محمود أبو عمر الناشر : دار ابن القيم - الدمام الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
١٠٧ معجم التوحيد - دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد المؤلف: أبو عبد الرحمن إبراهيم بن سعد أبا حسين الناشر: دار القبس للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م
١٠٨ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) المحقق: نعيم زرزور الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
١٠٩ الملل والنحل للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) الناشر: مؤسسة الحلبي
١١٠ المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحَلِيمي (ت ٤٠٣ هـ) المحقق: حلمي محمد فودة الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
١١١ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

ثالثاً : كتب الحديث، والرقائق والآداب

١١٢ إثبات الشفاعة لابن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد الناشر: أضواء السلف الطبعة: الأولى١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م
١١٣ الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، النشر: ١٤١٨ هـ
١١٤ إحياء علوم الدين للغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت
١١٥ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) حققه: محمد عزير الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
١١٦ بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للكلاباذي (ت ٣٨٠هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
١١٧ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة - المغرب الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
١١٨ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر عام النشر: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
١١٩ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
١٢٠ سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ١٣٦/٤ المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨هـ)محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٢١ سنن سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) دراسة وتحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
١٢٢ شرح السنة للبغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ومحمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

١٢٣ شعب الإيمان للبيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند

١٢٤ صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ) المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

١٢٥ صحيح البخاري المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

١٢٦ صحيح مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

١٢٧ المعجم الأوسط للطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله – و أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين - القاهرة عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٢٨ الطبقات الكبرى لابن سعد دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

١٢٩ عمل اليوم والليلة للنسائي (ت ٣٠٣هـ) المحقق: د. فاروق حمادة الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦

١٣٠ فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ

١٣١ كتاب التوبة. لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم دار النشر: مكتبة القرآن، مصر

١٣٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ت ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

١٣٣ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١

١٣٤ مسند الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة

١٣٥ المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل (هذه الطبعة الثانية أُعيد تحقيقها على ٧ نسخ خطية) الناشر: دار التأصيل الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٣ م
١٣٦ المصنف لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
١٣٧ المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية
١٣٨ المعجم. لأبي يعلى (ت ٣٠٧هـ) المحقق: إرشاد الحق الأثري الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد الطبعة: الأولى،١٤٠٧
١٣٩ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو وآخرون - الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
١٤٠ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) صححه وعلق حواشيه: عبد الله محمد الصديق الناشر: مكتبة الخانجي - مصر عام النشر: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
١٤١ المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (ت ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

رابعاً : كتب القراءات القرآنية

١٤٢ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لأبي حفص سراج الدين عمر بن زين الدين النشار (ت ٩٣٧ هـ) شرح وتحقيق: أ. د. أحمد عيسى المعصراوي، الناشر: دار النوادر للطباعة والنشر – الكويت
١٤٣ حجة القراءات لابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ) محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني عدد الأجزاء: ١ الناشر: دار الرسالة
١٤٤ الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، جامعة الكويت الناشر: دار الشروق - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ
١٤٥ الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسيّ الأصل، (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

١٤٦ شواذ القراءات للكرماني تحقيق الدكتور شمران العجلي طبعة مؤسسة البلاغ – بيروت لبنان
١٤٧ الكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطيّ المقرئ (ت ٧٤١هـ) المحقق: د. خالد المشهداني الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
١٤٨ المبسوط في القراءات العشر لابن مِهْران النيسابورىّ (ت ٣٨١هـ) تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق عام النشر: ١٩٨١ م
١٤٩ المحتسب لابن جني الناشر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة : ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م
١٥٠ مختصر في شواذ القرآن لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة
١٥١ المصاحف لأبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
١٥٢ معاني القراءات للأزهري أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى١٤١٢ هـ -١٩٩١م
١٥٣ النشر في القراءات العشر لابن الجزري، (المتوفى : ٨٣٣ هـ) المحقق : علي محمد الضباع الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]

خامساً : كتب الفقه وأصوله

١٥٤ أحكام القرآن للجصاص (ت ٣٧٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
١٥٥ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
١٥٦ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت
١٥٧ فتاوى السبكي المؤلف: أبو الحسن تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ) الناشر: دار المعرفة بيروت

١٥٨ الفصول في الأصول للجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
١٥٩ الموافقات المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

سادساً : كتب اللغة والنحو والبلاغة

١٦٠ الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي (ت ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت
١٦١ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
١٦٢ البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع المؤلف: حسن بن إسماعيل بن عبد الرازق الجناجيُ (ت ١٤٢٩ هـ) الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م
١٦٣ البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
١٦٤ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت
١٦٥ دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني المحقق: د. عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م
١٦٦ شرح المفصل للزمخشري المؤلف: لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
١٦٧ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي العلويّ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
١٦٨ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

١٦٩ علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٧٠ علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م
١٧١ الكتاب لسيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١٧٢ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة
١٧٣ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ت ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥
١٧٤ المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) المحقق: د. علي بو ملحم الناشر: مكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٣
١٧٥ المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عونى الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث

سابعاً : كتب المعاجم والتراجم

١٧٦ تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: ٤٠ أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)
١٧٧ التعريفات للشريف الجرجاني المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر طبعة: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
١٧٨ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م
١٧٩ تهذيب اللغة للأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١٨٠ سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط تقديم: بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
١٨١ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٨٢ القاموس المحيط لفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
١٨٣ كتاب العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال
١٨٤ لسان العرب لابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
١٨٥ مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
١٨٦ معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
١٨٧ معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١٨٨ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

Index of Sources and References

The Holy Qur'an

First: Books of Interpretation and Qur'anic Sciences

١. Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Noble Book by Abu al-Su'ud

٢. Reasons for the Revelation of the Qur'an by al-Wahidi, al-Naysaburi

٣. Divine Signs to the Fundamental Discussions by al-Tufi

٤. I'rab al-Qur'an by al-Isfahani

٥. Al-Iklil fi Istinbat al-Tanzil by al-Suyuti

٦. A Sublime Model of Questions and Answers on the Oddities of the Verses of the Revelation by Abu Bakr ibn Abd al-Qadir al-Hanafi al-Razi

٧. Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil by al-Baydawi

٨. The Easiest Interpretations of the Words of the Most High, the Great, by Abu Bakr al-Jaza'iri

٩. Bahr al-'Ulum by al-Samarqandi

١٠. Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir by Abu Hayyan

١١. Al-Bahr al-Madeed fi Tafsir al-Qur'an al-Majid by Ibn 'Ajiba

١٢. Al-Tahrir wa al-Tanwir by Ibn 'Ashur

١٣. At-Tashil by Ibn Juzay al-Kalbi

١٤. Tafsir by Ibn 'Arafa

١٥. Tafsir by Ibn Kamal Pasha

١٦. Tafsir al-Iji: Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an

١٧ Al-Wahidi's Simple Commentary

١٨ Al-Raghib Al-Isfahani's Commentary

Al-Sha'rawi's Commentary ١٩

Al-Qur'an Al-Hakim (Al-Manar Commentary) ٢٠

Ibn Kathir's Commentary on the Great Qur'an ٢١

Ibn Abi Hatim's Commentary on the Great Qur'an ٢٢

Interpretation of the Noble Qur'an, its Grammar, and Explanation, by Muhammad Ali Taha Al-Durra ٢٣

Abu Al-Muzaffar Al-Sam'ani's Commentary on the Qur'an ٢٤

Abdul Karim Al-Khatib's Commentary on the Qur'an ٢٥

Al-Maturidi's Commentary (Sunni Interpretations), by Abu Mansur Al-Maturidi ٢٦

Al-Maraghi's Commentary ٢٧

Al-Mazhari's Commentary - Muhammad Thana' Allah Al-Mazhari ٢٨

Al-Munir's Commentary on Creed, Sharia, and Methodology, by Wahbah Al-Zuhayli ٢٩

Al-Zuhayli's Intermediate Commentary ٣٠

Al-Qur'an Al-Waseet, by Muhammad Sayyid Tantawi ٣١

Interpretation of the Verses of Rulings, by Muhammad Ali Al-Sayis ٣٢

Al-Harari's Commentary on the Gardens of the Spirit and Basil in the Hills of the Sciences of the Qur'an ٣٣

Tafsir Abd al-Razzaq al-San'ani ٣٤

Tafsir Muqatil ibn Sulayman ٣٥

Tanwir al-Miqbas min Tafsir Ibn Abbas ٣٦

At-Taysir fi al-Tafsir by al-Nasafi ٣٧

Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayat by al-Tabari ٣٨

Jami' li Ahkam al-Qur'an by al-Qurtubi ٣٩

Al-Jawahir al-Hasan fi Tafsir al-Qur'an by al-Tha'alibi ٤٠

Hashiyat al-Shihab al-Khafaji ٤١

Al-Durr al-Masun fi 'Ulum al-Kitab al-Samīn al-Halābī ٤٢

Durrat al-Tanzil wa-Ghurrat al-Ta'wil by al-Khatib al- ٤٣ Iskāfī

Darj al-Durar fi Tafsir al-Ayāt wa-Suwar by Abd al- ٤٤ Qāhir al-Jurjānī

Daqa'iq al-Tafsir by Ibn Taymiyyah ٤٥

Ruh al-Bayan by Ismail Haqqī ٤٦

Ruh al-Ma'ānī by al-Alusi ٤٧

Zad al-Masīr by Ibn al-Jawzi ٤٨

Zahrat al-Tafsir by Abu Zuhrah ٤٩

Gharayeb al-Tafsir wa 'Aja'ib al-Ta'wil by al-Kirmani ٥٠

Gharayeb al-Qur'an wa-Raghā'ib al-Furqan by al- ٥١ Naysaburi

Gharib al-Quran by Ibn Qutaybah ٥٢

Fath al-Bayan fi Maqasid al-Quran by Muhammad ٥٣ Siddiq Khan

Fath al-Rahman bi Kashf ma Yaltabish fi al-Quran by ٥٤ Ibn Zakariya al-Ansari

Fath al-Qadir by al-Shawkani ٥٥

Fadhail al-Quran by Abu Ubayd al-Qasim ibn Salam ٥٦

Fadhail al-Quran by Ibn al-Durais ٥٧

al-Kitab al-Farid fi I'rab al-Quran al-Majid al-Muntajab ٥٨ al-Hamadhani

al-Kashaf by al-Zamakhshari ٥٩

٦٠ Kashf al-Tanzil fi Tahqiq al-Mabahith wa al-Ta'wil by al-Haddad al-Yemeni
٦١ Kashf al-Ma'ani fi al-Mutashabih min al-Mathani by Ibn Jama'ah
٦٢ Kashf wa al-Bayan 'an Tafsir al-Quran by al-Tha'labi
٦٣ Lubab al-Ta'wil fi Ma'ani al-Tanzil by al-Khazin
٦٤ Majaz al-Quran al-Mu'allim by Abu Ubaydah
٦٥ al-Muharrir al-Wajeez fi Tafsir al-Kitab al-Aziz by Ibn 'Atiyyah
٦٦ Ma'alim al-Tanzil by al-Baghawi
٦٧ 'Ma'ani al-Quran by al-Farra
٦٨ Ma'ani wa I'rab al-Quran by Abu Ishaq al-Zajjaj
٦٩ The Arena of Peers in the Miracle of the Qur'an by al-Suyuti
٧٠ The Qur'anic Miracle: Definitive Scientific Facts by Ahmad Omar Abu Shufa
٧١ The Keys to the Unseen by Fakhr al-Din al-Razi
٧٢ The Vocabulary in the Strange Words of the Qur'an by al-Raghib al-Asfahani
٧٣ The Angel of Definitive Interpretation by Those Who Atheism and Denial in Guiding the Ambiguous by Ibn al-Zubayr al-Thaqafi al-Garnati
٧٤ The System of Pearls in the Consistency of Verses and Surahs by al-Baq'i
٧٥ The Notes and Eyes by al-Mawardi
٧٦ The Guidance to Reaching the End by Makki ibn Abi Talib
٧٧ The Intermediate in the Interpretation of the Glorious Qur'an by al-Wahidi

Second: Books of Creed

Explanation of the Tahawi Creed by Abd al-Rahman ibn Nasir al-Barrak ٩٣

Explanation of the Objectives by Sa'd al-Din al-Taftazani ٩٤

Explanation of the Jewel of Monotheism by Ibrahim al-Laqqani ٩٥

Al-Shari'ah by Ibn Abdullah al-Ajurri ٩٦

Shifa' al-'Alil fi Masa'il al-Qada' wa al-Qadar wa al-Hikmah wa al-Ta'lil by Ibn Qayyim al-Jawziyya ٩٧

Al-Farq Bayn al-Sect wa Bayan al-Sect al-Najiyah by al-Asfarayini ٩٨

Al-Fasl fi al-Milal wa al-Ahwa' wa al-Nihal by Ibn Hazm ٩٩

Lawa'i' al-Anwar al-Bahiyya by al-Safarini ١٠٠

Majmu' al-Fatawa by Ibn Taymiyyah ١٠١

Mukhtasar Minhaj al-Qasidin by Ibn Qudamah ١٠٢

Madarij al-Salikeen by Ibn Qayyim al-Jawziyyah ١٠٣

Ma'arij al-Qubul by Hafiz ibn Ahmad ibn Ali al-Hakami ١٠٤

Mu'jam al-Tawhid by Abu Abd al-Rahman Ibrahim ibn Sa'd Abu Husayn ١٠٥

Maqalat al-Islamiyyin wa Ikhtilaf al-Musalliyyin by Abu Musa al-Ash'ari ١٠٦

Al-Milal wa al-Nihal by al-Shahrastani ١٠٧

Al-Minhaj fi Shu'ab al-Iman by al-Jurjani ١٠٨

Minhaj al-Sunnah al-Nabawiyyah fi Nuqd al-Kalam al-Shia al-Qadariyyah ١٠٩
Third: Books on Hadith, Spirituality, and Etiquette

Proof of Intercession by Al-Dhahabi ١١٠

Satisfactory Answers Regarding the Prophetic Hadiths Asked by Al-Sakhawi .١١١

Ihya' Ulum al-Din by Al-Ghazali .١١٢

Ighthat al-Lahfan fi Masa'id al-Shaytan by Ibn Qayyim al-Jawziyya .١١٣

Bahr al-Fawa'id al-Mashahur bi-Ma'ani al-Akhbar by Al-Kalabadhi .١١٤

The Sufficient Answer for He Who Asked About the Healing Medicine by Ibn Qayyim al-Jawziyya .١١٥

Hilyat al-Awliya' wa-Tabaqat al-Asfiya' by Abu Nu'aym .١١٦

Al-Zawahir 'an Iqtiraf al-Kaba'ir by Ibn Hajar al-Haytami .١١٧

Sunan Abi Dawud .١١٨

Sunan Sa'id ibn Mansur .١١٩

Sharh al-Sunnah by Al-Baghawi .١٢٠

Shu'ab al-Iman by Al-Bayhaqi .١٢١

Sahih al-Bukhari .١٢٢

Sahih Muslim .١٢٣

Al-Mu'jam al-Awsat by Al-Tabarani .١٢٤

Al-Tabaqat al-Kubra by Ibn Sa'd .١٢٥

Amal al-Yawm wa-Laylah by Al-Nasa'i .١٢٦

Fath al-Bari by Ibn Hajar .١٢٧

Kitab al-Tawbah By Ibn Abi al-Dunya .١٢٨

Majma' al-Zawa'id wa Manba' al-Fawa'id by al-Haythami ١٢٩

al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn by al-Hakim ١٣٠

Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal ١٣١
al-Musannaf by 'Abd al-Razzaq ١٣٢
al-Musannaf by Ibn Abi Shaybah ١٣٣
al-Mu'jam al-Kabir by al-Tabarani ١٣٤
al-Mu'jam by Abu Ya'la ١٣٥
al-Mufhim lima Ashkala min Talkhis Kitab Muslim by Abu al-'Abbas al-Qurtubi ١٣٦
al-Maqasid al-Hasanah fi Bayan Kathir min al-Ahadith al-Musharrat 'ala al-Alsanaz by al-Sakhawi ١٣٧
al-Minhaj Sharh Sahih Muslim by al-Nawawi ١٣٨

Fourth: Books on the Qur'anic Readings

al-Budur al-Zahira fi al-Qira'at al-'Ashr al-Mutawatir by al-Nashar ١٣٩
Hujjat al-Qira'at by Ibn Zangala ١٤٠
al-Hujjat fi al-Qira'at al-Sab'a by Ibn Khalawayh ١٤١
al-Hujjat li al-Qira'at al-Sab'a by al-Farsi ١٤٢
Shawad al-Qira'at by Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Nasr Al-Karmani ١٤٣
Al-Kanz fi al-Qira'at al-'Ashr by Ibn al-Wajih ١٤٤
Al-Mabsut fi al-Qira'at al-'Ashr by Ibn Mihran ١٤٥
Al-Muhtasib by Ibn Jinni ١٤٦
Mukhtasar fi Shawadh al-Qur'an by Ibn Khalawayh ١٤٧
Al-Masahif by Abu Dawud ١٤٨
Ma'ani al-Qira'at by al-Azhari ١٤٩
Al-Nashr fi al-Qira'at al-'Ashr by Ibn al-Jazari ١٥٠

Fifth: Books on Jurisprudence and its Principles

Ahkam al-Qur'an by al-Jassas al-Hanafi ١٥١

Ahkam al-Qur'an by Ibn al-'Arabi ١٥٢

Al-Ihkam fi Usul al-Ahkam by Ibn Hazm ١٥٣

Al-Subki's Fatwas ١٥٤

Al-Fusul fi al-Usul by al-Jassas ١٥٥

Al-Muwafaqat by al-Shatibi ١٥٦

Sixth: Books on Language, Grammar, and Rhetoric

Al-Idah fi 'Ulum al-Balagha by al-Qazwini ١٥٧

Bughyat al-Idah li-Talkhis al-Miftah by Abd al-Muta'al al-Sa'idi ١٥٨

Al-Balagha al-Safiyyah by Hasan ibn Ismail ibn Abd al-Razzaq Al-Janaji ١٥٩

Arabic Rhetoric by Abd al-Rahman Habanka ١٦٠

The Pearls of Rhetoric by al-Hashimi ١٦١

The Proofs of Miracles by Abd al-Qahir al-Jurjani ١٦٢

Explanation of al-Mufassal by al-Zamakhshari ١٦٣

Al-Tiraz li-Asrar al-Balaghah by Yahya ibn Hamza al-Alawi ١٦٤

The Bride of Joys in Explanation of the Summary of al-Miftah by al-Subki ١٦٥

The Science of Semantics by Abd al-Aziz Atiq ١٦٦

The Sciences of Rhetoric: Al-Badi', Al-Bayan, and Al-Ma'ani by Muhammad Ahmad Qasim ١٦٧

The Book by Sibawayh ١٦٨

The Common Proverb in the Literature of the Writer and Poet by Ibn al-Athir ١٦٩

Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib by Ibn Hisham ١٧٠

Al-Mufassal fi Sina'at al-I'rab by al-Zamakhshari ١٧١

فهرس الموضوعات